

نماذج مختارة لمواد من المعجم
التاريخي للغة العربية ومصادرها
للدكتور محمد حسن عبد العزيز

أعضاء الهيئة لدراستها وإيداء الرأي فيها. وقد بادر بعض الأعضاء بكتابة تقارير ضافية فيها، وقد راجعت هذه التقارير، وكتبت عن ملاحظات أصحابها تقريراً مفصلاً. وقد وافق أعضاء الهيئة على التقرير وشكلوا لجنة رباعية لاستكمال دراسة الموضوع.

بذل أعضاء اللجنة الرباعية جهوداً عظيمة فيما كُفوا به، وكتب أعضاؤها بحوثاً علمية ضافية في قضايا المعجم التاريخي.

وقد رأيتُ - وهذا تقديري الخاص - أن البحوث التي قدمها أعضاء اللجنة بدأت من حيث بدأ العمل في وضع منهج المعجم، ولم تراع ما سبق الموافقة عليه من عناصره، ومن

كلمة لا بد منها (مغامرة محسوبة): منذ ثلاث سنوات وفي أبريل من عام ٢٠٠٤م تشرفت بالانضمام إلى عضوية هيئة المعجم التاريخي للغة العربية، وهي هيئة أنشأها اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية لوضع معجم تاريخي للغة العربية، وطلب إليّ آنذاك وضع تصور لمنهج هذا المعجم. وبعد ستة أشهر من البحث المضمني المتواصل فيما كُتب عن المعجم التاريخي، وفي المعاجم التي سبق وضعها كالمعجم الإنجليزي والمعجم الفرنسي قدمت إلى الهيئة تصوري لهذا المنهج في مذكرات تتناول كل مذكورة منها عنصراً من عناصره.

وبعث الأمين العام للاتحاد الأستاذ الدكتور كمال بشر بهذه المذكرات إلى

(*) أُلقيت هذه المحاضرة في الجلسة الثامنة من جلسات مؤتمر المجمع في دورته الثالثة والسبعين يوم الخميس ٣ من ربيع الأول سنة ١٤٢٨ هـ الموافق ٢٢ من مارس (آذار) سنة ٢٠٠٧م.

ثم لم يتحقق تقدم كبير أو اتفاق واضح في تحديد المنهج.

وقد اشتد الخلاف وطال بين أعضاء اللجنة فيما طرحته من قضايا، وانتهى الاجتماع الذي عقد بالشارقة في ٢٠٠٦/١٢/١٨م بتقرير يصف ما حدث، ويطلب استكمال العمل في اجتماعات قادمة بالقاهرة.

وطلب إليَّ الأمين العام الأستاذ الدكتور كمال بشر تقريراً عن عمل اللجنة، وتقدمت به، واقترحته فيه الاكتفاء بما أنجزته اللجنة الرباعية، وإرجاء البت في منهج المعجم إلى ما بعد تشكيل اللجنة العلمية التي ستكون - بناءً على لائحة النظام الأساسي للهيئة - مسؤولة عن وضع المعجم. وقد وافق أعضاء لجنة المعجم على التقرير، ويجري الآن - فيما أتوقع - تشكيل اللجنة المذكورة.

ومنذ وَضَعْتُ المذكرات الأولى عن منهج المعجم التاريخي، وبعد استظهار كل ما كتب عنه - وهو كثير نافع - قرَّ في ضميري أن الجدل في

هذا الموضوع سيطول ما دام الحديث واقعاً في إطار البحث النظري فحسب، فلم يجرؤ أحد من الذين تحدثوا أو كتبوا على تقديم نموذج لمادة من مواد المعجم المقترح إنجازه، ولهذا صرفت جهدي ووقتي لهذا العمل أو لهذه المغامرة التي تحيط بها العقبات من كل النواحي.

ولقد جعلت الدراسات الإيتمولوجية في اللغات الهندووربية، والدراسات التاريخية والمقارنة بين اللغات اللاتينية والجرمانية وضع معجم تاريخي لهذه اللغات عملاً ممكناً، فظهر معجم أكسفورد التاريخي للإنجليزية، والمعجم التاريخي للغة الفرنسية، بل ظهرت معاجم تاريخية أخرى.

على حين لم تتوافر مثل هذه الدراسات الضرورية في اللغة العربية، وهذه أعظم العقبات. وعلى أية حال قلت لنفسي ليكن لي شرف المحاولة وأجر الريادة أصبت أو أخطأت.

قدمت النماذج الآتية على مراحل.

طرحت المجموعة الأولى الخاصة بالكلمات (قطار وذرة وسياسة) على مائدة مؤتمر الشارقة في محاضرة بعنوان (المعجم التاريخي للغة العربية: منهج وأمثلة) وفي مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة المخصص للمعجم التاريخي طرحت مثالين آخرين في محاضرة بعنوان (وأمثلة أخرى للمعجم التاريخي) أرّخت فيها للكلمتين (زُنَّار) و(ترجمان). واختصت هذا الكتاب بأمثلة ثلاثة؛ هي: (وزير ووزارة، وحاجب وحجابه، وحكومة).

وضعت أمامي، وأنا أبحث عن هذه الكلمات في بطون ما توافر لدي من مصادر، ما نشر عن منهج معجم أكسفورد، وترجمة مقدمة المعجم التاريخي للغة الفرنسية، وبعض أمثلة منه، وشاركت بعض تلامذتي في ترجمة مواد من معجم أكسفورد، كما وضعت أمامي كل ما علّق به أعضاء المجمع والباحثون على ما قدمته عن منهج المعجم وأمثله.

ومع ما سبق أقدم الملاحظات الآتية:

* النماذج أو الأمثلة التي قدمتها وأقدمها ما هي إلا مادة صالحة لاستغلالها في تحرير مدخل في المعجم التاريخي المزمع إنجازه، أو لاختبار المنهج المقترح، ولوضع كراسة العمل فيه، فليست إذاً نموذجاً لمدخل من مداخله.

* النماذج أو الأمثلة مستخلصة من نصوص، تصلح أن تكون مدونة صغرى، تعد مثلاً في تنوعها وشمولها للمدونة الكبرى المقترحة للمعجم.

(انظر قائمة المصادر والمراجع المصاحبة للنماذج).

* استرشد البحث بالمدونات المتوافرة، وبالمصادر المعالجة إلكترونياً كنقطة بداية. واختار البحث من بين مئات من الأمثلة والشواهد ما يصلح لأن يكون شاهداً ودالاً على المقصود موثقاً من مصادر ورقية محققة.

* ولم يقف الرجوع عند الذي أمدتني به المصادر الإلكترونية؛ لأنها في الحقيقة ليست جامعة، بل رجعت إلى الفهارس اللغوية المصاحبة لبعض دواوين الشعر العربي

الأوراق كان يهدف إلى التمثيل بصور متعددة من التغيرات قد تكون راجعة إلى مبنى الكلمة أو معناها، أو باستعمالها أو هجرانها أو بغير ذلك من الصور التي يُعنى المعجم التاريخي ببيانها. وسوف ترون ذلك واضحاً في الصفحات التالية المخصصة لهذا الموضوع.

عالجتُ النماذج أو الأمثلة على النحو الآتي:

١- صَدَّرْتُ الحديث عن الكلمة المدروسة بتعريف موجز لجوانبها اللغوية: الشكائية والدلالية، وتطورها اللغوي.

٢- الشواهد الشعرية التي وردت فيها الكلمة تنتسب إلى العصور الخمسة منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، وقدمتها مبتدئاً بأقدم نص ورد في المصادر المعتمدة على النحو الآتي.

* يُذكر صاحب الشاهد، مع تحديد سنة ولادته ووفاته ما أمكن ذلك، وحين يتعسر ذلك يذكر منتسباً إلى عصره.

وللدواوين نفسها، ولعديد من المصادر التاريخية.

* تنتمي النصوص المستشهد بها إلى عصور اللغة العربية الخمسة المتفق على اعتمادها من لجنة المعجم، وهي نصوص أدبية: شعرية أو نثرية. وثمة نصوص أخرى علمية من مصادر تاريخية أو فلسفية أو جغرافية عربية أو مترجمة.

قائمة المصادر والمراجع التي سجلتها في عقب النماذج ليست وحدها ما رجعت إليه، فثمة عشرات من المصادر والمراجع رجعت إليها، ولم أجد ضرورة للإشارة إليها.

* النماذج أو الأمثلة كلمات، وقد كان المنهج يقتضي أن ينطلق المدخل من الجذر إلى مشتقاته؛ وذلك لأن معالجة المداخل - بهذه الطريقة - يتطلب إحاطة أوسع بكل الاستعمالات المعروفة في المصادر، وهذا عمل لا يمكن لفرد أن يقوم به، ولا تتوافر لي متطلباته.

* اختياري للكلمات المقدمة في هذه

ويذكر مصدر الشاهد في السطر التالي له من ديوانه أولاً أو من مجموعته الشعرية، أو من غير ذلك من المصادر.

* قد تذكر بعض المعلومات عن مناسبة النص أو تفسير بعض غريبه.

٣- عدد الشواهد مرتبط بأمريين:

* أن تكون ممثلة لكل العصور.

* أن تكون دليلاً على معنى محدد يكشف التغير أو الثبات الحادث للكلمة.

٤- قد أفصل أحياناً بين الشواهد، وأجعلها في مجموعتين المجموعة الأولى للاستعمال الحقيقي، والثانية للمجازي كما فعلت مثلاً مع الكلمات: قطار وذرة وسياسة.

وقد خالفت هذا النظام في الكلمات الخمس التالية لطبيعة المادة من حيث سعتها وتنوعها، فلم أتمكن - مع ذلك - من فصل الاستعمال.

٥- لا أكتفي بمدلول الكلمة في الاستعمال العام، فإذا ما كان لها مدلول خاص في علم بعينه أو فن بعينه ذكرت ذلك، وحددت المدلول وما حدث له من تغير في مجاله، كما فعلت مثلاً مع:

* (ذرة) في علم الكلام والفلسفة.

* (سياسة) في المصطلح الفقهي.

* (سياسة) في المصطلح الفلسفي.

* (حكومة) في المصطلح الفقهي.

٦- قد يتطلب الأمر تأريخاً لمدلول

الكلمة لا من خلال النصوص فحسب،

بل من خلال تفسيرات أو كتابات عنها.

وهذا يلقي ضوءاً عظيماً على تاريخها

اللغوي من خلال النصوص.

فكتبت عن الموضوعات الآتية:

* الزُّنار في التاريخ.

* التُّرجمان في التاريخ.

* الوزير والوزارة في التاريخ.

* الحجابة في التاريخ العربي.

* نظام الحكم عند العرب - الحكومة

في التاريخ العربي.

وقد عالجت هذه الموضوعات

تاريخياً بتتبع مدلول الكلمة منذ العصر

الجاهلي حتى العصر الحديث من

كتابات المؤرخين والفلاسفة والفقهاء

والأدباء؛ كالطبري والمسعودي

والفارابي وابن سينا وابن خلدون

والمقريزي والقلقشندي وابن إياس

والجبرتي ... إلخ.

واحدته قطرة، والجمع قطار (انظر اللسان والتاج).

* والقطار جمع من الإبل ونحوها يتبع بعضها بعضاً في نسق. (انظر اللسان والتاج).

* والقطار مجموعة من مركبات السكة الحديد تجرها قاطرة (انظر المعجم الوسيط).

أ- قطار من الماء:

يبدو لي أن هذا المعنى هو أقدم معاني (قطار) وأقدم ما عثرت عليه من شعر الجاهليين في هذا المعنى:

* قول المُمَزَّق العبدى (ت ٣٥ ق. هـ):
وأصبح لا يشفي غليل فؤاده

قطارُ السحاب والرحيقُ المُرَوَّق
(المفضليات ص ٤٣٢)

* وقول بشر بن أبي خازم (ت ٢٢ ق. هـ):
يُفَلِّجُ الشفا عن أقحوان

جلاه غبَّ سارية قطارُ

(المفضليات ص ٣٣٩)

ومما توافر لدينا من شواهد من الشعر في العصر الإسلامي إلى العصر الحديث:

وهكذا نتبين تاريخ الكلمة من خلال النصوص المؤلفة المنسوبة إلى العصر، ومن خلال الكتابات التي كتبت حوله، ولا شك في أن الجمع بين هذين الأمرين سيكون بالغ الأهمية في تأليف أو تحرير مداخلها في المعجم التاريخي للغة العربية.

٧- وقفت في الاستشهاد بنصوص من العصر الحديث عند النصف الأول من القرن العشرين؛ لأن اللغة العربية بعد تلك الفترة اتسع استعمالها وتتنوعت مصادرها في العلوم والفنون والصحافة وأجهزة الإعلام ووسائل الحياة العصرية من مأكّل وملبس ومشرب... إلخ. ومن ثم حدث تطور هائل في مدلولات الألفاظ، وظهّرت ألفاظ واختفت ألفاظ مما لا يمكن لفرد مثلي أن يتعقبه ويسجله. ويتطلب الأمر قيام اللجان العلمية للمعجم ومباشرتها لعملها.

وإليك هذه النماذج المختارة:

١- قطار

* القطار جمع قَطْر؛ وهو المطر، والقطر: ما قطر من الماء وغيره،

* يقول أبو ذؤيب الهذلي (ت ٢٧هـ):

لمن طَلَّ بالمنتضى غير حائل

عفا بعد عهدٍ من قطارٍ ووابلٍ

(ديوان الهذليين ١/١٤٠)

* يقول أبو تمام ت ٢٣١هـ:

وكنْتُ أعلمُ علماً لا كِفَاءَ له

أن ليس كلُّ قطارٍ يُنبِتُ العُشْبَا

(ديوانه ١/٢٤٢)

* ويقول ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ):

ونؤي ترامي فوقه الريح بالسفا

مَحْتَهُ قطارٌ مرةً وجنوبٌ

(ديوانه ص ٤٧)

* ويقول الملك الأمجد (ت النصف

الثاني من القرن السادس الهجري):

فسقى قطارُ المُرْنِ لا بل جودُه

الهامي منازل زينبٍ وربابٍ

(ديوانه ص ١٢١)

ب- قطار من ناس أو إبل:

جاء في الحديث "أن النبي ﷺ أتى قبر

طلحة بن البراء في قطار بالعصبة

فصفَّ وصفَّنا خلفه" العصبة: موضع

بقباء.

(ويحمل على الإبل وعلى الناس):

(تهذيب الكمال ٦/٥٤٩)

وفي كتب الحديث "أن سفيان الثوري

لما بلغه مقدّم الأوزاعي خرج فلقيه

بذي طوى فحلَّ البعير من القطار".

(الجرح والتعديل ١/٢٠٧)

وفي العصر الإسلامي وفيما بعده يكثر

استعمال القطار في نسق من الإبل

ونحوها من النوق والخيول والبغال

والحمير والنمل ... إلخ.

* ومن ذلك قول أبي نجيم العجليّ

(ت ١٣٠هـ):

وأنحت من حرشاء فلج خردلُه

وأقبل النمل قطاراً تنقلُه

(حرشاء: نبات). (اللسان ق. ط. ر.)

* ويقول ابن الرومي (ت ٢٨٣هـ):

لولا صروف الاختيار لأعنفوا

لهوى كما اتسقت جمالُ قطار

(ديوانه ٣/٩١١)

* ويقول كعب بن مشهور:

طوامس يعلوها القتام كأنها

قطار نبيط من خراسان صادر

(النبيط: جيل يسكن سواد

العراق، وهم الأنباط).

- * ويقول أبو نؤاس (ت ١٩٨هـ):
وَحُمْلَانِ أَبْنَاءَ السَّبِيلِ تَرَاهُمُ
قَطَارًا إِذَا رَاحُوا أَمَامَ قَطَارِ
(ديوانه ٥٠٤/١)
- * ويقول بكر بن خازجة:
كَأَنَّ تَقَاطَرَ الْأَشْجَارِ فِيهِ
إِذَا غَسَقَ الظَّلَامُ قَطَارُ نَوْقِ
* ويقول ناصح الدين الأرجاني
(ت ٥٤٤هـ)، (فاطمي):
كَمْ مِنْ قَطَارٍ لَهَا خَلْفَ الْقَطَارِ لَهُمْ
تَسْتَنُّ وَالْعَيْسُ وَالْحَادِي عَلَى سَتْنِ
(تَسْتَنُّ: تَمْضِي الْعَيْسُ فِي طَرِيقِهَا.
ديوانه ص ٣٩٦).
- ومما صرف إلى المجاز:
* يقول أبو العلاء المعري
(ت ٤٤٩هـ):
سَلَكَ النَّجْدَ فِي قَطَارِ الْمَنَائِي
قَطْرِيَّ وَنَجْدَةً وَشَبِيبُ
(يعني قطري بن الفجاءة، ونجدة بن
عويمر وشبيب بن يزيد الشيباني من
الخوارج). (اللزوميات ١١٩/١)
- * ويقول ابن قلاقس يهنئ ولدي الداعي
عمران بن سبأ صاحب عدن
(ت ٥٦٧هـ):
- هل في قطار النصر نَسْرٌ واقع
أو في مسالحه سِمَاكٌ أعزل
(ديوانه ص ١٩٧)
- * ويقول ابن سهل الأندلسي
(ت ٦٤٩هـ):
عَوْدُهُ فِي الْأَصْحَابِ عَوْدُ نُضَارِ
وَسَجَايَاهُ إِنْ سَمَحْنَ قَطَارُ
(ديوانه ص ١٢٦)
- * ويقول الحيص بيص الأمير شهاب
الدين أبو الفوارس (ت ٥٧٤هـ):
فَرَدَّ قَطَارُ الْجُودِ مِنِّي مَدَائِحُ
تَحَلَّى بِهَا جُودٌ تَظْلُمُ عَاطِلُهُ
(ديوانه ١٤١/٣)
- ومما حمل على المجاز ولا يتسع المقام
لشواهده كاملة:
* قطار المتجهدين.
- (المنثور لابن الجوزي)
* قطار النقلة لحديث رسول الله.
- (وفيات الأعيان، لابن خلكان)
الجوزاء قطار:
وحتى ترى الجوزاء كأنها
قطار وحتى الشعرى كأنها نار
* قطار التائبين.
- (المدح لابن الجوزي)

١٨٨٣م مقالاً ضافياً يذكر فيه القطار
ويسمي القاطرة التي تجره (باخرة)

(علم الدين ١/٨٨، ٨٩، ١٠٧)
ويذكر الرافعي في كتابه (عصر
إسماعيل) أن السلطان عبد العزيز حين
زار مصر سنة ١٨٦٣م ركب القطار
من الإسكندرية إلى القاهرة، وقد تملكه
العجب؛ لأنه لم يكن قد رأى القطارات
في حياته من قبل.

(عصر إسماعيل ١/٧٩)
قطار في الشعر العربي الحديث:

جرى الشعراء المحدثون على ما جرى
عليه أسلافهم من استعمال (القطار)
بمعنى قطرات الماء. وفي ذلك يقول
أحمد شوقي (ت ١٩٣٢م)
وكأنما طوفان نوح ما نرى

والفلك قد مُسِخت حثيث قطار

ويقول خليل مطران يشكر السيدة هانم
شعراوي (ت ١٩٤٩م).

ينبوع إحسان وبر جرى

أصفى وأنقى من قطار الندى

(ديوانه ١/٣٨٧)

* الكلمات تنتال انثيال القطار على
صفحات الأزهار.

(نفح الطيب للمقري، ٢/٥٠٠)

* طارت قصائده كل المطار وتغنى
بها راكب الفلك وحادي القطار.

(نفح الطيب للمقري، ٦/١٣٩)

ج- قطار السكة الحديد:

ظهر هذا المعنى لكلمة (قطار) عندما
مدّت السكة الحديد في مصر من
القاهرة إلى الإسكندرية في الأعوام
(١٨٥٢م، ١٨٥٤م، ١٨٥٦م).

وأقدم ما عثرت عليه في مصادري ما
كتبه رفاعه الطهطاوي عن السكة
الحديد في كتابه (مناهج الألباب)
١٨٦٩م مستخدماً كلمة (الوابور)
للقطار، يقول في ذلك شعراً:

العقل في الوابور حاز

نبغي الجواب ولا يحير

يجري على عجل كبار

في رسم شكل مستدير

(مناهج الألباب ص ١٢٥، ١٢٦)

ويكتب علي مبارك (ت ١٨٩٣م) عن

السكة الحديد في كتابه (علم الدين)

بيد أن ظهور قطار السكة الحديد قد أثار قرائحهم. ولم يفتهم أن يتحدثوا عنه، ومن طريف ذلك أن بعضهم سماه قطار النار.

يقول نجيب الحداد (ت ١٨٩٩م):

لنا غنى عن قطار السحب منسجماً

ولا غنى عن قطار النار مضطرباً

ويقول نسيب أرسلان (ت ١٩٣٧م):

وأجرى سفين البحر في اللج منسجماً

ومشى قطار النار في البيد يهدف

ويقول علي الجارم (ت ١٩٤٩م):

سر يا قطار ففى فؤادي مرّجلاً

يُزجيك بين متالع وبطاح

(ديوانه ص ٤٨٢)

ومما حمل على المجاز في العصر

الحديث:

قطار الرحمة، قطار السعادة،

قطار التنمية، قطار العمر، وفاته

القطار، وفاتها قطار الزواج.

* * *

٢- ذرة

أ- على الحقيقة : نملة أو جزء صغير

من مادة

ب- على المجاز : الغاية في الصغر

ج- وفي المصطلح العلمي: أصغر

جزء في عنصر ما، يمكن أن يدخل في

تفاعلات كيميائية.

أ- على الحقيقة

١- الذرة : النملة

٢- الذرة : جسيم يُرى في شعاع

الشمس الداخل من النافذة

٣- الذرة : جزء صغير من مادة،

ذرة ملح أو دقيق أو فلفل .

وفي التاج واللسان: قيل لصغار

النمل وللمنبث في الهواء من الهباء

الذرّ، واحدته ذرّة، والذرّ صغار النمل

واحدته ذرّة، قال ثعلب إن كل مئة منها

زنة حبة من شعير فكأنها جزء من

مئة .

والذرة : ما يُرى في شعاع

الشمس الداخل في النافذة . وقيل الذرة

ليس لها وزن .

وفي الأساس : وذرّ الملح على

اللحم ، والفلفل على الثريد فرقه فيه .

• وأقدم ما لدينا من شواهد على

هذه الدلالة قول امرئ القيس

(ت ٨٠ ق هـ) :

مِنَ الْقَاصِرَاتِ الطُّرْفِ لَوْ دَبَّ مُحُولٌ
مِنَ الذَّرِّ فَوْقَ الْإِتْبِ مِنْهَا لَأَثَرًا
(ديوانه ص ٦٨)

في القرآن الكريم

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ

حَسَنَةً يُّضْعِفْهَا ۝٤٠﴾ النساء [٤٠]

﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي

الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝٦١﴾ [يونس: ٦١]

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ

۝٧﴾ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾

[الزلزلة ٧، ٨]

(مِثْقَال ذرة : وزن ذرة (نملة أو

هباء) وقد تنصرف إلى المجاز

(الدلالة المعنوية : ذرة ظلم ، ذرة علم،

ذرة خير أو شر)

وفي تفسير الطبري : .. عن ابن

عباس في قوله : "مِثْقَال ذرة " قال :

رأس نملة حمراء ... وقال يزيد بن

هارون : زعموا أن هذه الذرة الحمراء

ليس لها وزن".

(تفسير الطبري ٨/٣٦٠ ، ٣٦١)

وفي الكشف : الذرة النملة

الصغيرة، وفي قراءة عبد الله : مِثْقَال

نملة، وعن ابن عباس أنه أدخل يده في

التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال : كل

واحدة من هؤلاء ذرة ، وقيل : كل جزء

من أجزاء الهباء في الكورة ذرة" .

(الكشاف ١/٢٦٨)

في الحديث النبوي

[ثُمَّ يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا

إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنْ

الْخَيْرِ ذَرَّةً] .

(صحيح البخاري ١/١٥٠)

وفي حديث آخر : [.. من كان

في قلبه ذرة أو خردلة من إيمان]

وفيه أيضاً : .. [فليخلقوا ذرة أو

ليخلقوا حبة]

(وتفسير الذرة في الأحاديث

السابقة على المعنيين الحسي والعقلي)

ب- على المجاز

الذرة : الغاية في الصغر وخفة

الوزن وقلة الرجحان

وفي القرآن الكريم :

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً

يُضَعِفْهَا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء ٤٠]

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ،

﴿٧﴾ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ، ﴿٨﴾﴾

[الزلزلة ٧، ٨]

(والمعنى: وزن ذرة من ظلم،

ووزن ذرة من خير أو شر ، وفسرت

أيضا على الدلالة الحسية وزن ذرة أي

نملة أو هبأة تظهر في شعاع

(الشمس).

الذرة في الشعر العربي حتى العصر

الحديث

ومما توافر لدينا من شواهد على

استعمال (الذرة) من شعراء عصور

اللغة العربية حتى العصر الحديث :

• يقول حسان بن ثابت (ت

٥٤هـ):

لم تفتُها شمسُ النهار بشيء

غير أن الشباب ليس يدوم

لو يدبُّ الحوليُّ من ولد الذِّ

رَّ عليها لأندبتها الكلوم

(الجاحظ : البيان والتبيين ٦٨/٤)

• يقول الطرِّمَّاح (ت ١٠٥ هـ)

يهجو بني تميم:

ولو جمعتُ يوماً تميمَ جموعها

على ذرَّةٍ معقولةٍ لاستقلت

(ذرة معقولة: نملة مشدودة بالعقال،

استقلت: نهضت لقتال تميم)

(ديوانه، ص ٦٤)

• ويقول العباس بن الأحنف

(ت ١٨٨، ١٩٩ هـ) :

ووالله ما في القلب مثقالُ ذرَّةٍ

لأخرى سواها إن قلبي لفي شغل

(ديوانه، ص ٢٨٨)

• ويقول أبو نواس (ت

١٩٠، ١٩٥ هـ) :

كيف موأاةٌ من عليه

أهونُ من ذرَّةٍ حياتي

(ديوانه ٢٠١/١)

• ويقول ابن الرومي

(ت ٢٨٣ هـ) :

من ذرَّةٍ ذرَّةٍ جرَّادِقهُ تخفى

على العين فهي مُلْتَمِسُهُ

(الجرادق جمع جرْدق وجرْدقة، وهي

الغليظ من الخبز) (ديوانه ١١٧٥/٣)

و صار لا يعلفها ذرّة

(ما ذر شاق : ما ظهرت الشمس)

تَعْلَمُ إِلَّا فَضْلَةَ الْمَائِدَةِ

(ديوانه ص ٢١٤)

(يعني الدجاج. ديوانه ٧٥٩/٢)

• ويقول كُشَاجِم (ت ٣٦٠،

٣٥٠هـ) :

قالوا أبو أحمدٍ بيني فقلتُ لهم

أرى أن قدري دون مقدار ذرة

كما بنت ذرّة بيتاً من السّدق

• ويقول ابن الفارض

(السّدق: شجر ذو ساق واحدة قويّة.

(ت ٦٣٢هـ) :

ديوانه، ص ٢٩٠)

• ويقول تميم بن المعز (ت

٣٧٤هـ) :

وما نقصتُ من وزن حِلْمِكَ ذرّة

يشاهدُ مني حُسْنَهَا كُلَّ ذرّة

بِخَطْبٍ وَلَا حَلَّتْ لَصَبْرِكَ مِنْ عَقْدٍ

بها كل طرف جال في كل طُرْفَةٍ

(ديوانه ص ١١٠)

(ديوانه ص ١٢٧)

• ويقول الشريف العقيلي -

(يشاهد حسنَ المحبوبة كُلَّ ذرّة مني:

فاطمي-) (منتصف القرن

لمح بها كل عين في كل لمحّة)

(الخامس):

تمتعتُ فيه من غزال مهفّف

• ويقول محيي الدين بن عربي،

بما لم أكن في ذرّة منه أطمع

وهي أول قصيدة ظهرت من

(ديوانه ص ١٩٨)

قلبه على لسانه (ت ٦٣٨ هـ):

• ويقول:

أنا نور النور قد برزت

ولا تطلبين مني من الصبر ذرّة

بوجودي ذرّة الظلّ لم

فلست أرى بالصبر ما ذر شاق

(ديوانه ص ٢)

- ويقول ابن النبيه (ت ٧٤٥هـ):
لم يطق حمل ذرة وهو عن حمـ
ل القناطير ليس بالمغلوب
(ديوانه ص ٤٢٨)
- ويقول ابن الجيَّاب الغرناطي (ت ٧٧١هـ):
تحسب الطود ذرة من حجاه
وترى البحر قطرة من بنانه
- ويقول القطب الجياني (مملوكي)
أعد الثرى رملا مثاقيل ذرة
وأحصى غزير القطر وهي هوامع
وجسمي للأجسام روح مُدبَّر
وفي ذرة منه الأنام جوامع
(قصيدة النادرات العينية ص ١٢١، ١٢٢)
- ويقول البارودي (ت ١٩٠٤م)
فلا تطلُبَنَّ في الناس مثقال ذرة
من الودِّ أمَّ الودِّ في الناس هابل
(ديوانه، ٦٩/٢)
- ويقول حافظ إبراهيم في رحلته
إلى إيطاليا بحرًا (ت ١٩٣٢م):
إنما أنت ذرة قد حوتها
ذرة في فضاء ربي تدور
(ديوانه ٢٢٨/١)
- ويقول (مملوكي)
وإن شاء شاهدَ في ذرة
عوالم لم تحيَ فيها سدى
(ديوانه ٢٦٢/١)
- ويقول جميل صدقي الزهاوي (١٩٣٦م):
هذه الأرض ذرة قد توارت
عن عيون النجوم في تيهاء
- يقول معروف الرصافي (ت ١٩٤٥م):
ولو الشمسُ ضوعفت ألف مرة
لم تكن في أثيره غير ذرة
- يقول محمود قابادو (ت ١٨٧١م) - تونس -:
ما ذرة في الكون إلا أنت مر
كزها وأنت محيطها المترفع
(ديوانه ٩٨/٢)

• ويقول صالح الشرنوبى (ت

١٩٥١م) :

قُلْ لَهُ إِنَّ قَدْرَتِ مَا أَنْتَ فِي الْكُو

نِ سِوَى ذَرَّةٍ مِنَ الذَّرَاتِ

(ديوانه ص ٣٥٧)

الذرة مصطلحا في علم الكلام
والفلسفة

كان المفكرون القدماء من

اليونان والهنود والعرب يبحثون منذ

زمان بعيد في ماهية المادة وفيما تتألف

منه الأجسام .

وهم قد اختلفوا في غاية هذا

البحث ، فمنهم من حاول من ورائه

تفسير ظواهر الطبيعة بمعرفة العناصر

الأولى التي تتألف منها ، كما فعل

بعض فلاسفة اليونان ، ومنهم من

حاول إثبات عقائد دينية أيضاً كما فعل

بعض فلاسفة العرب .

فأما بعض فلاسفة اليونان فقد

ذهبوا إلى أن الجسم يتألف من أجزاء

صغيرة لا تنقسم ، وحاولوا تعيين

خصائصها ومنهم ديمقريط (٤٦٤-

٣٧٠ ق.م) ، وأنكر ذلك من فلاسفة

اليونان مفكرون مثل أرسطو (٣٨٤-

٣٢٢ ق.م)

(د. أبو ريدة، مذهب الذرة، ص:ب)

"والغالبية العظمى من متكلمي

الإسلام أخذت بمذهب الجوهر الفرد أو

مذهب الذرة في تعبيرنا الحديث،

وتتردد في كتبهم العبارات: الجزء الذي

لا يتجزأ، والجزء الواحد، والجوهر

الواحد الذي لا ينقسم، كما استعملوا

لفظي الجزء والجوهر باختصار".

(س. بينيس مذهب الذرة ص٤)

ومن ذلك قول الأشعري (ت

٣٢٤هـ): زعموا أن الجزء الذي لا

يتجزأ جسم يحتل الأعراض، وقوله :

وعن النظام (ت ٢٢١، ٢٣١هـ) "أن

الجزء لا يجوز عليه الحركة

والسكون".

(مقالات الإسلاميين ج٢ص)

وقد جرى بعض العلماء على

القول بأن مذهب الإسلاميين في

الجوهر الفرد يشبه مذهب اليونانيين،

ديمقريطس من ناحية وأبيقور من ناحية

أخرى .

(انظر: بينيس مذهب الذرة ص٩٣،

٩٤)

- ويؤكد ذلك بعضُ المستشرقين،
بأن الألفاظ العربية التي استخدموها في
النصف الأول من القرن التاسع
الميلادي هي الألفاظ المترجمة عن
اليونانية، فإن اللفظين العربيين اللذين
استخدما للتعبير عن الذرات وهما "لا
يتجزأ" و"لا ينقسم" هما ترجمة للفظين
يونانيين .
واسـتعـمال لفظ "جوهر"
Substance بمعنى (ذرة) atom
يعكس أيضاً عبارة أرسطو عن
ديمقريطس بأنه كان يُصَيِّرُ جواهر
الأعظام التي لا تتجزأ"
(هاري آ. ولفسون، فلسفة المتكلمين
ص ٦١٣ ، ٦١٤)
وأول من أشار إلى أن الجزء
الذي لا يتجزأ عند القدماء هو الذرة
atom عند العلماء المحدثين هو
المستشرق الفرنسي ماسينيون
(ت ١٩٦٢) في محاضراته بالجامعة
المصرية القديمة عام ١٩١٢م /
١٩١٣م .
وقد استخدم المستشرق الألماني
بينيس عبارة (مذهب الذرة) للحديث
عن مذهب الفلاسفة العرب في الجزء
الذي لا يتجزأ ، وترجم الدكتور أبو
ريدة كتابه عام ١٩٣٧ .
الذرة مصطلحاً في علم الطبيعة
والكيمياء في العصر الحديث
تفترض النظرية الذرية
atomic theory التي افترضها
(دالتون) (١٧٦٦-١٨٤٤م) أن
العناصر تتكون من جسيمات غاية في
الصغر ولا تقبل التجزئة وتسمى
ذرات .
وقد نجح (دالتون) في معرفة
الوزن النوعي للذرات، وتحليل
المركبات الكيميائية، ومعرفة التركيب
الذري لكل الجسيمات .
وقد نجح (نيلس بور) (١٨٨٥-
١٩٦٢م) في تصوير الذرة من الداخل

بأنها مكونة من إلكترونات تدور في مدارات ثابتة حول النواة . وبهذه النظرية نجح في تصوير ذرة الهيدروجين .

وترجع فكرة الذرة إلى الفيلسوف اليوناني ديمقريطس (٤٦٠-٣٧٠ ق.م.)، رأى أن العالم يتكون من شيئين: فراغ لا مادة فيه، ومادة تملأ الفراغ، وأن هذه المادة تتكون من جسيمات بالغة الصغر (ذرات لا تتجزأ) لا ترى بالعين ، والذرات كلها متجانسة من جهة النوع ، ولكنها مختلفة في الشكل، والحجم، والوضع، والترتيب في الأجسام المختلفة ، وأن التغير في المادة وتنوع الموجودات في العالم راجع إلى اتحاد أو تفـرق تلك الجسيمات أو (الذرات) كما أن هذه الذرات في حركة دائمة أبداً لا تتقطع، وفي أثناء حركتها قد تتجاور أو تتفاعل أو حتى يصدم بعضها بعضاً، وينتج عن اصطدامها موادٌ جديدة".

(د. أحمد زويل ، عصر العلم)

وفي عام ١٨٧١م يستعمل إلياس بقطر كلمة ذرة لتقابل المصطلح atome، ومن الطريف - وفقاً لما توافر لنا من مصادر - أن المستشرق الفرنسي (ماسينيون) في عام ١٩١٢-١٩١٣ تحدث عن مفهوم الذرة في العلم الحديث . ونقل إلى العربية ربما لأول مرة - أن نظرية أفوجادو عام ١٨١١م تنصب على أقل جزء من العنصر يمكن دخوله في تركيب كيميائي . وأن نظريات أكثر حداثة قد ظهرت فيما بعد عن انهدام الجزيء وانهدام الذرة .. إلخ.

(محاضرات في تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية ص ٥٩-٦٠)

ولم يتوافر لدي - حتى الآن - مصادر لاستعمال مصطلح (ذرة) في الفترة التي تلت محاضرات ماسينيون ١٩١٢-١٩١٣ حتى بداية الأربعينيات. وفي (المقتطف) عام ١٩٣١ ج ٧٨ مقال بعنوان (القوى المذخورة

• عن أسماء بنت أبي بكر تتحدث عن زوجها الزبير بن العوام :
"كنت أعلف فرسه ، وأكفيه مؤونته وأسوسه " .

• وفي رواية: "وكان له فرس، وكنت أسوسه ، ولم يكن من الخدمة شيء أشد عليّ من سياسة الفرس " مسند الإمام أحمد بن حنبل .

ب- على المجاز

وفي أساس البلاغة "هو يسوس الرعية، ويسوس أمرهم ويُسوّس أمرهم"، وفي اللسان والتاج : ومن المجاز يقال: سوّس فلان أمر الناس - على ما لم يسم فاعله - إذا صيّر ملكاً أو ملكَ أمرهم .

والسياسة : القيام على الشيء بما يصلحه .

وأقدم ما توافر لدينا من شواهد في المجاز :

• قول خُرقة بنت النعمان بن المنذر (جاهلية) :

فبيننا نسوس الناس والأمرُ أمرنا

إذا نحن سُوقَة نتنصف

في الذرة) .. وفي عام ١٩٣٢ ظهرت عدة مقالات بعنوان (تركيب الذرة وحلها) ج ٨١ ، و(تحطيم الذرة وإطلاق قوتها) ج ٨١، و(بعد تحطيم الذرة) ج ٨١ .. ثم توالى بعد ذلك مقالات عدة حتى عام ١٩٥١ حيث ظهر مقال بعنوان (علاقة البروتون والكهرب بالذرة) ج ١١٨ و(الذرة والإنسان) ج ١١٨.

٣- سياسة

أ- على الحقيقة : سياسة الدواب

ب- على المجاز: سياسة الناس أو الأمور

أ- على الحقيقة

في أساس البلاغة هو يسوس الدواب ، وهو من ساستها وسوّاسها، وفي اللسان والتاج: والسياسة فعل السائس، وهو من يقوم على الدواب ويروضها (يُوطئها ويذلّلها ويعلمها السير) .

وأقدم ما توافر لدينا من شواهد

على هذا المعنى :

السياسة في الشعر العربي حتى العصر الحديث

وفي الشعر العربي بداية من عصر بني أمية حتى العصر الحديث شواهد كثيرة لاستعمال كلمة (سياسة) يعسر حصرها، وقد جمعنا منها ما يقرب من مئتي بيت ، وهذه أمثلة منها:

• يقول مجنون ليلى (ت ٧٠هـ) :

يسوس وما يدري لها من سياسة

يريد بها أشياء ليست تريدها

• ويقول الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) :

وليس في الأرض عمل أكد لأهله من

سياسة العوام ، وقد قال الهذلي (أموي

غالبًا) :

وإن سياسة الأقيام فاعلم

لها صعداء مطلبها طويل

(الحيوان ٩٤/٢)

• ويقول أبو تمام

(ت ٢٣١هـ، ٨٤٦م) :

ساس الجيوش سياسة ابن تجارب

رمقته عينُ المُلْك وهو جنين

(ديوانه ٣١٧/٣)

(نسوس الناس : ندبر أمرهم بما

نريد، فطاعتنا واجبة وأحكامنا نافذة،

إذا نحن سوقة نتتصف : صرنا سوقة

نخدم الناس)

(شرح ديوان الحماسة للزوزني

ص ١٢٠٣)

• وقول خراشة بن عمرو العبسي

(جاهلي) :

فلا قوم إلا نحن خير سياسة

وخير بقيات بقين وأولا

(المفضليات، ص ٤٠٥)

• وقول جُمعة بنت الخُسّ الإيادية

(جاهلية) :

إذا المرء لم يسنطع سياسة نفسه

فإن به عن غيرها هو أعجز

وفي الحديث النبوي :

"كانت بنو إسرائيل تسوسهم

الأنبياء ، كلما هلك نبي

خلفه نبي"

صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء

أي : تتولى أمورهم كما تفعل

الأمراء والولاة بالرعية

(النهاية لابن الأثير)

• ويقول :

لقد ساسنا هذا الزمان سياسة

سُدِّي لم يسسها قطُّ عبدٌ مُجَدِّع

(ديوانه ٣٢٤/٢)

• ويقول ابن الرومي

(ت ٢٨٣هـ، ٨٩٦م) :

رأيت بالأمس ما را

ق من عديد وعُدّه

ومن سياسة مُلكٍ

أصبحت تهديه قصده

(ديوانه ٦٧٧/٢)

• ويقول البحتري يمدح المعتمد

على الله (ت ٢٨٤هـ، ٨٩٧م) :

لقد وجدنا لك إذ سُستنا

سياسة الحاني علينا الشفيق

(ديوانه ١٤٦٢/٣)

• ويقول أبو فراس الحمداني

يمدح سيف الدولة

(ت ٣٥٧هـ) :

وساسا أمور المسلمين سياسة

لها الله والإسلام والدين شاكر

(يعني سيف الدولة وناصر الدين أخاه)

(شعر أبي فراس الحمداني ص ٨٨)

• ويقول تميم بن المعز الفاطمي

(ت ٣٧٤هـ، ٩٨٤م) :

ورثت سياسة مَهْدِيَّها

وحزت شجاعة منصورها

(ديوانه ص ١٦٧)

• ويقول :

وسستهم بمحكم الآراء

سياسة الوالد للأبناء

(ديوانه ص ١٧)

• ويقول أبو العلاء المعري

(ت ٤٤٩هـ) في حكام عصره :

يسوسون الأمور بغير عقل

وينفذُ أمرهم فيقال سياسة

فأفَّ من الحياة أفَّ مني

ومن زمن رئاسته خسارة

(اللزوميات ٨٩٣/٢)

• ويقول :

إذا الرئاسة لم تُعَنَّ بسياسة

عقلية خطئ الصواب السائسُ

(اللزوميات ٨٨٧/٢)

(مجمع اللغة العربية بالقاهرة ،البحوث
والمحاضرات ٣٩٤/ص ٣٢٨)

ويجري الشعر في العصر
المملوكي والعثماني في المجال السابق
نفسه . وغالب الأبيات في المديح .

فالممدوح يسوس الناس سياسة
العدل ، والल्पف ، والحكمة ، والحلم ،
والحزم والتدبير ، والترغيب والترهيب
... إلخ ، وسياسة الحاني الشفيق والوالد
للأبناء ، والراعي الصالح .. إلخ.

وتشبه سياسة الممدوح بسياسة
الأنبياء والملوك المشهورين والخلفاء
الراشدين ، فهي تشبه سياسة موسى في
قومه ، وسياسة كسرى والإسكندر ،
وأوشروان وساسان ، و.. إلخ .

السياسة في الشعر العربي الحديث:

وفي الشعر العربي الحديث شواهد
لا حصر لها لاستخدام كلمة
(سياسة) ، من ذلك :

• يقول محمود سامي البارودي
(ت ١٩٠٤م) :

وخلنا من سياسة درجت

بين أناس قلوبهم وغرة

• ويقول ابن زريق البغدادي (كان
كاتباً في بغداد ٤٢٠هـ) :

أعطيت ملكاً فلم أحسن سياسته
وكل من لا يسوس الملك ينزعه

• ويقول لسان الدين بن الخطيب
(ت ٧٧٦) :

تحوط أمور الملك منك سياسة
حباها من اللطف الإلهي تدبير

• ويقول ابن رشيق القيرواني
(ت ٤٥٦هـ)

أعدت إلى مصر سياسة يوسف

وجددت فيها من سميك موسما

• وفي الأدب العربي قصيدة فريدة

تعرف بأنجم السياسة ، نسبها عبد
الله كنون إلى أبي محمد عبد الله

محمد بن عيسى بن الماقي

(ت ٥٧٤هـ) والقصيدة - مع

مطلعها في المدح والنصح - تلم

بمجمال قواعد تدبير الملك وأصول

السياسة وتعليقها وبيان

حكمتها، ويشير إليها بقوله :

هاذي السياسة لاحت بعض أنجمها

ما كل نجم رصدناه قصدناه

- يقضون أيامهم على خطرٍ
فبئس عُقبى السياسةِ الخطِرةِ
(ديوانه ٤١٠/١)
- ويقول ولي الدين يكن في رجال
العصر الحميدي (ت ١٩٤٩م) :
بِغَالٍ تَسْوِسُ الْأُسْدَ شَرَّ سِيَاسَةٍ
وَمَا سَادَ أُسْدًا قَبْلَ ذَلِكَ بِغَالٍ
(ديوانه ص ٤٢)
- ويقول أحمد شوقي
(ت ١٩٣٢م) :
بني سورية اطرحوا الأماني
وألقوا عنكم الأحلام ألقوا
فمن خدع السياسة أن تغرؤوا
بألقاب الإمارة وهي رق
(ديوانه ص ٢٧٢)
- ويقول جميل صدقي الزهاوي
(ت ١٩٣٦) :
يا شرق إن الناس ليس يضرهم
شيء كمثل سياسة التفريق
(ديوانه ص ٢٧٨)
- ويقول معروف الرصافي
(١٩٤٥م) :
- فأوطانكم لن تستقلَّ سياسةً
إذا أنتم لم تستقلوا بها فكرا
(ديوانه ص ٥١)
- ويقول :
ولكننا نخشى الجلاء ونتقي
سياسة حُكم يأخذُ القومَ بالقهر
(ديوانه ص ٤٣٢)
- ويقول علي الجارم (ت
١٩٤٩م) :
سياسة حقد أين من نفثاتها
لعابُ الأفاعي أو سمومُ العقارب
(يعني سياسة أوربا في ضرب فتوح
محمد علي بالشام) (ديوانه ص ٤٣)
- تأصيل مصطلح سياسة
من الواضح أن كلمة "سياسة"
كلمة عربية من جذر عربي هو (س و
س) ، بيد أن هذه الكلمة في العصر
المملوكي اختلطت بها كلمة تشبهها إلى
حد ما نطقاً ومعنى، وفي هذه الكلمة
أقوال :
١. قال الخفاجي (ت ١٠٦٩) في شفاء
الغليل: سياسة قيل هو معرّب (سه
يسا) وهي لفظة مركبة أولاهما

التلفظ بها ... وليس ما يقوله أهل زماننا في شيء من هذا ، وإنما هي كلمة مغولية أصلها (ياسة) ، فحرفها أهل مصر وزادوا بأولها شيئاً فقالوا سياسة ، وأدخلوا عليها الألف واللام فظن من لا علم عنده أنها كلمة عربية ، وما الأمر فيها إلا ما قلت .

وفصل المقريري أحكام الياسا التي جاء بها (جنكزخان) وهي أحكام قاسية تحكم بالقتل لأوهن الأسباب، وبكل أسف جرى بعضها على أيدي الحجاب والحكام في هذا العصر، وكانت أحكاماً جائرة ظالمة .

ويبرئ المقريري كلمة سياسة العربية مما لحق بها من معانٍ خاصة بالياسا ، ويقول :

" وجعل (جنكزخان) حكم الياسا لولده (جغتاي) ، ولما مات التزم مَنْ بعده من أولاده وأتباعهم حكم (الياسا) كالترام أول المسلمين حكم القرآن، وجعلوا ذلك ديناً لم يعرف عن أحد

أعجمية والأخرى تركية، فـ(سه) بالفارسية: ثلاثة، و(يسا) بالمغولية: الترتيب، فكأنه قال الترتيب الثلاثة، وسببه على ما في (النجوم الزاهرة) أن (جنكزخان) ت ٦٢٤هـ—، ١٢٢٧م) ملك المغول قسم ممالكه بين أولاده الثلاثة ، وأوصاهم بوصايا ألا يخرجوا عنها، فجعلوها قانوناً، وسموها بذلك ، ثم غيروها فقالوا سياسة .

(شفاء الغليل س و س)

٢. يتحدث المقريري (ت ٨٤٥هـ) عن نظام الحُجَّاب الذي ابتدعه المماليك: وكانت أحكام الحُجَّاب أولاً يقال لها حكم السياسة، وكانت تختص بما بين الأجناد من مخاصمات واختلافهم في أمور الإقطاعات، ثم اتسعت مطامع الحجاب ومالاهم الحكام وأصبحوا يحكمون في كل أمور الناس شرعية أو مدنية فكانت نكالا على الناس جميعاً، وهي لفظة شيطانية لا يعرف أكثر أهل زماننا اليوم أصلها، ويتساهلون في

منهم مخالفته بوجه ، فلما كثرت وقائع التتر في بلاد المشرق والشمال وبلاد القبجاق ، وأسروا كثيرًا منهم وباعوهم تنقلوا في الأقطار ، واشترى الملك الصالح نجم الدين أيوب جماعة منهم سماهم البحرية ، ومنهم من ملك ديار مصر ، وأولهم المعز أيبك ، ثم كان لقطز منهم الواقعة المشهورة على (عين جالوت) ، وهزم التتار وأسر منهم خلقًا كثيرًا صاروا بمصر والشام ، ثم كثرت الوافدية في أيام الملك الظاهر بيبرس وملئوا مصر والشام ، وخطب للملك بركة بن جوشي بن جنكيزخان على منابر مصر والشام والحرمين .

وغصت أرض مصر والشام بطوائف المغول ، وانتشرت عاداتهم بها وطرائقهم . هذا وملوك مصر وأمرأؤها وعساكرها قد ملئت قلوبهم رعبًا من (جنكيزخان) وبنيه ، وامتزج بلحمهم ودمهم مهابتهم وتعظيمهم ، وكانوا إنما ربوا بدار الإسلام ولقنوا القرآن وعرفوا أحكام الملة المحمدية

فجمعوا بين الحق والباطل ، وضموا الجيد إلى الرديء ، وفوضوا لقاضي القضاة كل ما يتعلق بالأمور الدينية من الصلاة والزكاة والحج ، وناطوا به أمر الأوقاف والأيتام ، وجعلوا إليه النظر في الأقضية الشرعية كتداعي الزوجين وأرباب الديون ونحو ذلك . واحتاجوا في ذات أنفسهم إلى الرجوع لعادة (جنكيزخان) والاقتداء بحكم (الياسا) فلذلك نصبوا الحاجب ليقضي بينهم فيما اختلفوا فيه من عوائدهم والأخذ على يد قومهم وإنصاف الضعيف على مقتضى ما في (الياسا) ، وجعلوا إليه مع ذلك النظر في قضايا الدواوين السلطانية عند الاختلاف في أمور الإقطاعات لينفذ ما استقرت عليه أوضاع الديوان وقواعد الحساب"

(المقريزي، المواعظ والاعتبار ٣/٣٦٠، ٣٥٩) بارتولد ، الدول الإسلامية ص ٤٩٧-٥٠١ ، وانظر أيضًا : الزبيدي ، تاج العروس (يسق).

- وانظر: الفلقشندي، صبح الأعشى ٤/٣٠٥-٣١٢، (٤٧٤).
- السياسة في المصطلح الفقهي:**
- أقدم ما توافر لدينا عن السياسة مصطلحاً فقهيّاً ما ورد في "الأحكام السلطانية" لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت ٤٥٠هـ) يقول : "الإمامة العامة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا ... وأما الإمارة الخاصة فهو أن يكون الأميرُ مقصور الإمارة على تدبير الجيش وسياسة الرعية ، وحماية البيضة ، وليس له أن يتعرض للقضاء والأحكام ولجباية الخراج والصدقات " .
 - وتعكس أبواب الكتاب نظام الحكم الإسلامي ومسؤوليات من يقوم بإحدى وظائفه ، وهذه هي :
 - ١- في عقد الإمامة .
 - ٢- في تقليد الوزارة .
 - ٣- في تقليد الإمارة على البلاد .
 - ٤- في تقليد الإمارة على الجهاد .
 - ٥- في الولاية على حروب المصالح .
- ٦- في ولاية القضاء .
- ٧- في ولاية المظالم .
- ٨- في ولاية النقابة على ذوي الأنساب .
- ٩- في الولايات على إقامة الصلوات .
- ١٠- في الولايات على الحج .
- ١١- في الولايات على الصدقات .
- ١٢- في الولايات على الفيء والغنيمة .
- ١٣- في الولايات على الجزية والخراج .
- ١٤- فيما تختلف أحكامه من البلاد .
- ١٥- في إحياء الموات واستخراج المياه
- ١٦- في أحكام الإقطاع .
- ١٧- في وضع الديوان وأحكامه .
- ١٨- في أحكام الجرائم .
- ١٩- في أحكام التعزير .
- ٢٠- في أحكام الحسبة .
- ومن الواضح أن هذه الأبواب تجمع أحكام الشريعة والأحكام المدنية معا .
- ويستخدم ابن تيمية ت (٧٢٨ هـ) مصطلح (السياسة الشرعية)

ويقسم القوانين إلى قسمين ، فإذا كانت مفروضة من الله بشارع يقررها ويشترعها ، كانت سياسية دينية نافعة في الحياة الدنيا والآخرة .

ثم يحدد مفهوم الخلافة التي ترجع إليها مصالح العباد الأخروية والدنيوية، يقول: "والخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها ؛ إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع في اعتبارها بمصالح الآخرة ، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به".

(مقدمة ابن خلدون ٥٦٢-٥٦٤)
وقد شاع بين الفقهاء منذ وضع الماوردي كتابه إطلاق العبارات الاصطلاحية "الأحكام السلطانية" أو "السياسة الشرعية" و"السياسة المدنية" مترادفة ، وبينهم اختلاف في حق الحاكم في وضع قوانين سياسية لتدبير أمور الناس ، فذهب الحنفية والمالكية والحنابلة إلى أن للسلطان سلوك السياسة في تدبير أمور الناس وتقويم

في كتابه "السياسة الشرعية"، ويعني به ما على الراعي والرعية من حقوق وواجبات مستندًا في ذلك إلى القرآن وسنة الرسول وسنة أصحابه. وتعكس أقسام الكتاب وأبوابه هذا الفهم . فالكتاب من قسمين: القسم الأول: أداء الأمانات، وهو من بابين: أحدهما: الولايات. والثاني: الأموال، والقسم الثاني: الحدود والحقوق، وهو من بابين: حدود الله وحقوقه ، والحدود والحقوق التي لأدمي معين .

• ويتحدد الفرق بين السياسة الشرعية (الدينية) والسياسة المدنية (العقلية) بوضوح عند ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) إذ يرى أن الحكم لا بد أن يرجع فيه إلى قوانين سياسية مفروضة يسلمها الكافة وينقادون إلى أحكامها ، وإذا خلت الدولة من مثل هذه القوانين لم يستتب أمرها ولم يتم استيلائوها .

لمقدمة (فروريوس الصوري) المعروفة بإيساغوجي أو المدخل .

- يقسم ابن المقفع الحكمة أو الفلسفة إلى قسمين : العلم والعمل .

يقول عن العمل: "وهو التدبير والسياسة، وهو ثلاثة أقسام: سياسة العامة، كسياسة الأمصار والكور، وسياسة الخاصة كسياسة الرجل أهل بيته، وسياسة خاصة الخاصة كسياسة الرجل على أخلاقه وأعماله".

(منطق أرسطو ص ٢، ٣ .)

- وعنه أيضًا في ترجمة كليلية ودمنة :

"وَضَمَّنَهُ أيضًا ما يحتاج إليه الإنسان من سياسة نفسه "

(سياسة نفسه أي تدبير أمره وإحسان النظر فيه) (ص ٥٤).

- ونجد المعنى نفسه عند ابن بهريز (ت ٢٥٢هـ) في ترجمته لإيساغوجي .

"والعمل ثلاثة أقسام ، فمنه السياسة العامة، وسياسة الخاصة

المعوج وفق معايير وضوابط .. ولا تقف السياسة على ما نطق به الشرع .. وذهب الشافعية إلى أن السياسة يجب أن تكون في حدود الشريعة لا تتعداها .

(الموسوعة الفقهية (سياسة))

والشائع في كتبهم أن السياسة هي القانون الموضوع لرعاية الآداب والمصالح وانتظام الأموال .

بيد أن من معانيها التي لحقتها، معنى العقوبة، والعقوبة عندهم عقوبة مقدرة شرعًا وهي الحدود والقصاص، وعقوبة غير مقدرة شرعًا، وهي التعزير، وهي ما يطلق عليه السياسة، ومن ثم يرون أن السياسة فعل شيء من الحاكم يراها وإن لم يرد بذلك الفعل دليل جزئي.

(الموسوعة الفقهية (سياسة))

السياسة في المصطلح الفلسفي:

أقدم استعمال نعرفه لكلمة (سياسة) عند الفلاسفة ما جاء في ترجمة عبد الله بن المقفع (ت ١٤٢هـ)

الإنسان أن يسميها ، والسياسة هي فعل هذه المهنة"

(إحصاء العلوم ص ١٠٣ .)

• ويلخص الخوارزمي (ت ٣٨٠

أو ٣٨٧هـ) معارف عصره في تعريف الفلسفة العملية، فيقول: "هي ثلاثة أقسام، أحدها: تدبير الرجل نفسه أو واحداً خاصاً، ويسمى علم الأخلاق، والقسم الثاني تدبير الخاصة، ويسمى تدبير المنزل، والقسم الثالث تدبير العامة ، وهو سياسة المدينة والأمة والملك"

(مفاتيح العلوم ص ١٣٢)

• وقريب من ذلك ما ذكره ابن

سينا (ت ٤٢٨هـ) ، يقول :

"وأما الفلسفة العملية فإما أن تتعلق بتعليم الآراء التي تنظم باستعمالها المشاركة الإنسانية العامة، وتعرف بتدبير المدينة وتسمى علم السياسة، وإما أن يكون ذلك التعلق بما تنظم به

وسياسة المرء نفسه، وكل واحد منها ينقسم إلى أربعة أقسام:

أحدها: وضع السنن، والثاني: فصل القضاء، والثالث: الاحتراس كيلا يغتالونا، والرابع: المجاهدة لهم إن هم كاشفونا".

(منطق أرسطو ص ١١٠)

• وعند حديث الفارابي أبو نصر

(ت ٣٣٩هـ) عن العلم المدني

الذي يدرس أصناف الأفعال والسنن الإرادية وعن الملكات والأخلاق والسجايا والشيم يقول:

"وتلك [يعني الأفعال والسنن ..

إلخ] ليست تتأتى إلا برياسة يمكن معها تلك الأفعال والشيم والملكات والأخلاق في المدن والأمم ، ويجتهد في أن يحفظها عليهم حتى لا تزول ، وأن تلك الرياسة لا تتأتى إلا بمهنة ومملكة يكون عنها أفعال التمكين فيهم ، وأفعال حفظ ما مكن فيهم عليهم ، وتلك المهنة هي الملكية والملك أو ما شاء

حالُ الشخص الواحد في زكاء نفسه، ويسمى علم الأخلاق، وجميع ذلك إنما تحقّق صحة جملته بالبرهان النظري وبالشهادة الشرعية ، ويُحقّق تفصيله وتقديره بالشرعية الإلهية".

(الشفاء: المنطق ١- المدخل ص ١٤)

- وفي القرن الثالث والرابع الهجريين تنتشر كلمة السياسة بين الكتاب والحكماء عنوانًا لكتب أو رسائل، وقد كان كتاب (السياسة) لأفلاطون وأرسطو متداولين في هذا العصر، ومنها على سبيل المثال: كتاب الرسالة الكبرى في السياسة، وكتاب سياسة العامة، وهما للكندي (ت ٢٥٠هـ) ، وكتاب السياسة الصغير والسياسة الكبير لأحمد بن الطيب السرخسي (ت ٢٨٦هـ)، وكتاب السياسة لقسطا بن لوقا (ت ٣٠٠هـ)، وكتاب السياسة لقدامة ابن جعفر (ت ٣٣٧هـ)، هذا بالإضافة إلى ما كتبه الفارابي:

- رسالة في السياسة.
- سياسة المدينة، طبع حيدر آباد بعنوان كتاب السياسات المدنية.
- كتاب الألفاظ الأفلاطونية وتكوين السياسة الملوكية والأخلاق .

سياسة في العصر الحديث:

- وأقدم ما توافر لدينا لاستعمال كلمة السياسة في مطلع النهضة العربية الحديثة ما ورد في كتاب عجائب الآثار للجبرتي (ت ١٢٤١هـ - ١٨٢٥م)

- ورد من بين شروط الصلح بين الفرنسيين والعثمانيين والإنجليز: "لينتخب رجلٌ لينهي المخاصمات المذكورة بحسب قواعد السياسة البحرية السالكون عليها ببلاد الإنجليز"

(عجائب الآثار ١٤٢/٥)

- وردت عبارة مدبر سياسة الأحكام الشرعية فيما أحدثه

الألسن فيه ، والتحدث به، والمنادمة عليه في المجالس والمحافل ، والخوض فيه الغازيات كل ذلك يسمى (بوليتيكة) أي سياسة ، وينسب إليه فيقال (بوليتيقي) أي سياسي ، فالبوليتيكة هي كل ما يتعلق بالدولة وأحكامها وعلائقها وروابطها "

(مناهج الأبواب ط ٢ ص ٣٥٠)

وقريب مما سبق ورد في التعريفات الشافية . ج ٢ ص ٦٩ وثمة كتاب ظهر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر للشيخ حسين المرصفي (١٨١٠-١٨٩٠) يعد وثيقة سياسية هامة في تحديد المفاهيم السياسية في العصر الحديث هو (رسالة الكلم الثمان) وفي هذه الرسالة يعرف المرصفي بالمصطلحات الثمانية الآتية : "الأمة والوطن والحكومة والعدل والظلم والسياسة، والحرية والتربية" .

ويعرف السياسة بأنها : (تدبير شؤون الناس ، ومن شأنها تحديد الأعمال وتقدير القيم وإلزام الكل

الجنرال (مينو) في ترتيب الديوان على عهده فقلد (القومسير فوريه) وكيلاً له في الديوان باسم (مدبر سياسة الأحكام الشرعية) .

(عجائب الآثار ٥/٢٢٥)

وتكررت العبارة في ٢٢٥/٥ حين قال : "إن الكلام في هذا وأمثاله [يعني الالتزام ونحوه] ليس من وظيفتي فإني حاكم سياسة الشريعة لا مدبر أمر البلاد" ولعله يقصد أن منصبه تشريعي لا تنفيذي ، وأن الأحكام الشرعية هي الأحكام القانونية التي شرعها الديوان . وكان صاحب الفضل الأوفى في استعمال كلمة (سياسة) وتضمينها معنى الكلمة الفرنسية politique رفاعة الطهطاوي (١٨٠١-١٨٧٣) فقد استعملها كذلك في (تخليص الإبريز) ١٨٣٤م ، وفي (مناهج الأبواب) يفصل القول في معناها ويقول: "إن الأصول والأحكام التي بها إدارة المملكة تسمى فن السياسة الملكية، والبحث في هذا العلم ودوران

وبستشهد على ضرورة هذا التعاون بتعريف الشيخ محمد بيرم الأول للسياسة الشرعية بأنها ما يكون الناس معه أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد ؛ وإن لم يضعه الرسول . بل ويستشهد بقول ابن الجوزي : "إن إمارات العدل إذا ظهرت بأي طريق كان فهناك شرع الله" .

(انظر: أقوم المسالك ص ٢٤٢)

والحرية هي ضمان نجاح التنظيمات السياسية ، ويشرح خير الدين مفهوم الحرية في الفكر السياسي الأوربي ، فيقول :

"إن لفظ الحرية يطلق في عرفهم بإزاء معنيين:

أحدهما: يسمى الحرية الشخصية، وهو إطلاق تصرف الإنسان في ذاته وكسبه مع أمنه على نفسه وعرضه وماله ومساواته لأبناء جنسه لدى الحكم.

والثاني: الحرية السياسية، وهي تطلب الرعايا التداخل في السياسات

بالعمل، ثم يذكر أن لكل إنسان حظاً من السياسة باعتباره راعياً ومسؤولاً عن رعيته ، وهو ما أسماه بالسياسة الخاصة . أما السياسة العامة فهي تختص بجماعة من الناس أوتوا نصيباً أوفر من العلم والحلم والفهم والعزم) .

(رسالة الكلم الثمان ص ١١٩)

ومن أكثر المفكرين والسياسيين أهمية في استعمال كلمة سياسة بالمعنى المعروف بالكلمة الفرنسية politique في نهاية القرن التاسع عشر خير الدين التونسي (ت ١٨٩٠م) مؤلف كتاب (أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك) والذي ظهرت طبعته الأولى ١٨٦٧م يحكي فيه تجربته السياسية في تونس والآستانة .

ويرى خير الدين أن على علماء الشريعة أن يتبصروا في سياسة أوطانهم واعتبار الخلل الواقع في أحوالها الداخلية والخارجية ، وإعانة أرباب السياسة بترتيب تنظيمات منسوجة على منوال الشريعة معتبرين في ذلك جلب المصالح ودفع المضار،

الملكية والمباحثة فيما هو الأصلح للمملكة .
سلما والعلاقات بين أجهزة الدول فيما يتصل بأحوال الرعية

ويحصل هذا عند الأوربيين بانتخاب الأهالي طائفة من أهل المعرفة والمروءة تسمى مجلس نواب الأمة "

(أقوم المسالك ط ٢ ص ٢٤٤)
وفي عام ١٨٧٠م ينشر بمصر معجم إلياس بقطر الفرنسي العربي وفيه :

سياسة، سلوك politique (معرفة الحقوق الواجبة على الأمم واصطلاحات الدول بين بعضها، وتدبير أمور المملكة)

وبانتشار الصحافة والمنتديات الخطابية يذيع استعمالها بين الأدباء والسياسيين فيما ينشرونه في الصحف أو يتحدثون به في المحافل.

فأحمد بن فارس الشدياق (ت ١٨٨٧م) يستخدمها كثيراً في مقالاته التي كان ينشرها في صحيفته (الجوائب) بالمعنيين اللذين أشار إليهما رفاعه : العلاقات بين الدول حرباً أو

أنشأ جمال الدين الأفغاني (ت ١٨٩٧م) جمعية (العروة الوثقى) بباريس ، وهي جمعية إسلامية عالمية هدفها إعادة عزة الإسلام ومجده، والعمل على تطهير عقائده مما شابها، وتحرير العالم الإسلامي من نل الاستعمار وعبوديته . وكانت جريدة (العروة الوثقى) التي ظهرت في مارس ١٨٨٤م لسان هذه الجمعية، وكانت تحمل فكر الأفغاني وأسلوب محمد عبده وعباراته .

والسودان ، وسياسة الأوربيين في
ممالأتها .

ومن أمثلة ذلك :

• هذا أسلوب من السياسة الأوربية
... أخذت به الشرقيين لتتال

مطامعها فيهم . ص ٤٦

• .. إن الحكومة الإنجليزية
بالتواء سياستها وتذبذبها
وضعت من شرف إنجلترا ..
ص ١٨١

• .. من الجهل أن يظن سياسي
في المسألة المصرية أنها
مصرية فحسب ... إنما هي
مسألة أوربية .

• .. ليس للإنجليز حق شرعي
ولا أصل سياسي ولا رغبة
عامة من أهالي القطر
المصري . ص ٢٥٠

• يجتهد الإنجليز لإقلاق الخواطر
ليقدموا ما يكون من هذا عذراً
لدى الدول لتطويل مدة إقامتهم
بالقطر المصري لعلمهم يجدون

وترددت كلمة (السياسة) وما
اشتق منها وما تألف في أغلب
صفحاتها . ومن أمثلة ذلك ما جاء في
العدد الأول في بيان (لماذا صدرت
الجريدة ؟) .

• تَنْبَهُ بأن التكافؤ في القوى
الذاتية والمكتسبة هو الحافظ
للعلاقات والروابط السياسية فإن
فُقد التكافؤ لم تكن الرابطة إلا
وسيلة القوي لابتلاع
الضعيف...

• .. لا تَهِنْ في تبليغ الشرقيين
ما يمسه من حوادث السياسة
العمومية وما يتداوله السياسيون
في شؤونهم ..

• وتُرَاعِي في جميع سيرها
تقوية الصلات العمومية بين
الأمم وتمكين الألفة في أفرادها
وتأييد المنافع المشتركة بينها
والسياسات القويمة ..

(العروة الوثقى ص ٧ ، ٨)

وقد حمل الأفغاني حملات شعواء
على سياسة إنجلترا في الهند ومصر

من تقلبات السياسة الأوروبية
فرصة للحلول الأبدي. ص ٢٥٢
وفي مقال طريف لعبد الله نديم
(١٨٤٥-١٨٩٦م) في جريدته
(الأستاذ) بعنوان (تربية الأبناء) يتحدث
عن أهمية تربية أبنائنا تربية سياسية،
ويشير إلى ما عليه حال الناس في
أوربا من ترابط وتعاون وإن توزعت
أهواؤهم حول المشارب السياسية
والمذاهب الدينية، وإلى تربية أبنائهم
وإعدادهم لكي يكونوا مستعدين
للإدارات ومؤهلين للسياسات، ويشيد
بمعرفة علماء الدين في أوربا
بالسياسة، وينكر على علمائنا جهلهم
بها مع أنهم أحق الناس بالاشتغال بها
لحاجة أولي الأمر إلى مشورتهم في
الأمر السياسية، وليس في نصوص
الشرعية ما يمنع من الاشتغال بها بل -
كما يقول- : كل العلوم الشرعية من
قواعد السياسة ، فإن أبواب البيوع
والزروع والوقف ، والحرب والسلم،
والجنايات والشهادات، والحقوق
والقسمة وغيرها كلها من أصول

السياسة ، ومن درس العلوم الكثيرة لا
يعز عليه دراسة القوانين والمعاهدات
الدولية والأخبار اليومية .. .

(الأستاذ ص ٢٠٤-٢٠٧ / ١٨٩٢)
ويتحدث عن أهمية الجرائد في
توعية الشعب بالسياسة : "فضل
الجرائد على العامة كفضل المعلمين
على الخاصة ، فإن السياسية منها ناقله
للأخبار ، منبهة إلى ما فيه النفع العام
من أوجه الإصلاح والنجاح ، مترجمة
للعظماء وأعمالهم جامعة للأمة على
وحدة بها تعظم الممالك وتتقدم المعارف
والتجارة والآداب ، فلها صوت الحادي
أمام الأمة .. .

(الأستاذ ص ٢٠٠٨ ، ١٩٩٢)
ويقول في موضع آخر : وقد
صار للجرائد في مصر والشام شأن
وأى شأن ، فتربت بعباراتها الأفكار،
وتعلمت الأمة كثيراً من الأصول
السياسية وخاضت في بحار المذكرات
الدولية" . (الأستاذ ص ٣٨٧/١٩٩٢).
ومن العبارات التي تتردد على
صفحات الأستاذ :

".. أثارت الخواطر وكدرت السياسة ... نترك للحكومة الأعمال السياسية والتصرف فيها .. لم تكسب إنجلترا إلا فتور السياسة بينها وبين الدولة العلية ودول أوربا .. قوة المركز السياسي مرجعها انضمام أطراف المملكة وخلوها من الاضطراب .." إلخ .

وتتردد كلمة (سياسة) وما هو منها بسبب في كتاب (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) الذي ألفه المفكر العربي والإسلامي الكبير عبد الرحمن الكواكبي (١٨٤٨-١٩٠٢).

وترتبط الكلمة عنده بقوة بمفهوم الاستبداد الذي يعرف بأنه: تصرف فرد أو جمع في حقوق قوم بالمشيئة وبلا خوف من تبعه .

ويشير إلى أنه صفة للحكومة المطلقة العنان فعلاً أو حكماً التي تتصرف في شؤون الرعية كما تشاء ، بلا خشية حساب أو عقاب محققين.

(طبائع الاستبداد، ص ١٨)

ثم إنه قد وضع كتابه لينبه الناس إلى داء الشرق الدفين وهو الاستبداد السياسي، يقول : "وحيث إنني قد تمحص عندي أن أصل هذا الداء هو الاستبداد السياسي ، ودواؤه بالشورى الدستورية "

(طبائع الاستبداد، ص ٨)

ويربط الكواكبي بين الاستبداد الديني والسياسي ، يقول : " ما من مستبد سياسي إلى الآن إلا ويتخذ له صفة قدسية يشارك بها الله أو تعطييه مقاماً ذا علاقة مع الله . ولا أقل من أن يتخذ بطانة من خدمة الدين يعينونه على ظلم الناس باسم الله".

(طبائع الاستبداد، ص ٢٩ ، ٣٠)

٤- زُنَّار

زُنَّار: ج زنائير وزُنَّارة ج زُنَّارات
زُنَّير: لغة في زُنَّار.
والزُّنَّار: ما يلبسه الذمي يشده علي وسطه.

والزناز: ما يتزنا به أهل الذمة (عن الخليل في العين)

والكلمة من اليونانية زوناريون، وفي الآرامية: زونرا أو زنرا، ومنها انتقلت إلى العربية زُنَّار .

وقد استعمل الأقباط المصريون الكلمة اليونانية (زوناريون) وعدوا هذه القطعة من الملابس من ملابس الكهنوت .

الزناز في الشعر العربي:

في العصر الجاهلي

أقدم ما عثرنا عليه من الشواهد، قول عدي بن زيد العبادي (ت ٣٥ ق هـ، ٥٩٠ م)

رُبَّ نارٍ بَتُّ أرمقها

تَقْضِمُ الهنديَّ والغارا

عندها ظبي يؤرثها

عاقِدٌ في الخَصْرِ زُنَّارا

(ديوانه ص ١٠٠)

في العصر الإسلامي

لم نجد له شاهداً

في العصر العباسي

قال أبو نواس (ت ١٩٨ هـ):

حتى إذا نقلت كاساتها خُرْدُ
من بين ذي قُرْطُقٍ أو ذاتِ زُنَّارِ
(القُرْطُقُ : قَبَاء، ثوب يلبس فوق الثياب، وهو معرب كُرْتَة)
(ديوانه ١/٤٢٣)

قال ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) :

وزانه من بني العباد رَشًا
بالجيد والمقلتين سَحَارِ
ابن نصارى بدين دينهم

حَدَّثَ عنه بذاك زُنَّارِ

(ديوانه ص ٢٢٩)

وقال السري الرفاء (ت ٣٦٦ هـ —

٩٧٦ م)

والنحرُ والخَصْرُ منه قد قُسِمَا

بين صليب وبين زُنَّارِ

(ديوانه ص ٢٨٤)

وقال ابن وكيع التنيسي (ت ٣٩٣ هـ —

١٠٠٣ م)

قد غيَّب الزُّنَّارَ دَقَّةَ خَصْرِهِ

حتى ظنناه بلا زُنَّارِ

(ديوانه ص ٦٠)

وقال أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩ هـ —

١٠٥٧ م) :

وقال أبو عبد الله بن الحداد
(الأندلسي) (ت ٤٨٠ هـ) لحبيبة
يدعوها نُويرَة :

وفي معقد الزنار عقدُ صبابتي
فمن تحته دِغصٌ ومن فوقه غصن
(الشعر الأندلسي، بريس ص ٢٥٢ ،
وانظر الذخيرة ٦٩١/١)

وقال ابن الحناط الأعمى (ت ٤٣٧ هـ):
كم بتُ فيك على اللذات معتكفاً
والليل مُدْرِغٌ ثوباً من القار
كأنه راهب في المسح ملتحفٌ

شدَّ المُجْدُّ له وسطاً بزنار
(نفح الطيب، للمقري، ٥٠٣/١)

وثمة شواهد أخرى تجري هذا المجري
في العصر المملوكي والعثماني
واختفت الكلمة في العصر الحديث، فلم
نجد له شاهداً.

لا ينزلن، بأنطاكية ورَّغ
كم حلَّ الدين معقودُ الزنانير
(ديوانه ٧٣٩/٢)

وأساء ناكحُ زوجة نصرانة
قطعت، لأجل نكاحها - زنَّارها
(ديوانه ٦٩٢/٢)

كم مسلم عبْدُ الهوى فوجدته
فيما يُحلُّ كعقاد الزنَّار
(ديوانه ٧٨٣/٢)

وقال ابن خُفاجة (ت ٥٣٣ هـ =
١١٣٨ م)

لبس المجرَّ علي السواد فخلَّته
مُنْتَزَّها قد شدَّ من زنَّار
(ديوانه ص ١٥٩)

وقال الشريف العقيلي (ت قبيل
منتصف القرن الخامس) في فتى من
رهبان دير في مصر .

ما أحسن الزنَّارَ في خصره
يا لك من خَصَرٍ وزنارٍ
(ديوانه ص ١٤٤)

الزُّنَّار في التاريخ العربي:

كان المسيحيون في الشرق يعدون المنطقة أو الزنار من الملابس الكهنوتية، وكان رجال الإكليروس يمتدحون هذه القطعة الموقرة من الملابس، وربما عدها مسيحيو الغرب من مميزاتهم وأطلقوا عليهم (مسيحيو المنطقة أو الزنار) .

وأقدم ما عثر عليه من رسوم هذه القطعة يعود إلى القرن الثامن الميلادي وهو حزام ذو حواف ومشبك، ولهذا يرى (بتلر) أن استخدام هذه القطعة في الكنيسة القبطية أقدم من استخدامها بكنائس الغرب المسيحي ... ومازالت هذه القطعة مستخدمة في الكنائس الشرقية والغربية على السواء. (الكنائس القبطية، بتلر ج ٢ ص ٨٨ ، ١٠٢) .

ومن الطريف أن بتلر يشير إلى أن ارتداء المنطقة كأداة للتمييز المدني بين ملابس المسيحيين والمسلمين في مصر قد انتهى منذ عهد بعيد فإنه حتى اليوم يلبسها المسلمون والمسيحيون

على السواء، فإنك تجد في الحياة اليومية في القاهرة الآن كبار التجار أو الشيوخ الموقرين يرتدونها مع عباءة مفتوحة طولياً من الأمام .

(الكنائس القبطية بتلر ج ٢ ص ١٠٣)
تثار قضية الزنار كلباس مميز للنصارى واليهود والمجوس بظهور الإسلام وبانتشاره في البلاد التي تدين بالنصرانية واليهودية والمجوسية .

وكانت المطالبة بشد الزنار في كثير من الأحيان مرتبطة بحالات الحرب والفتن والاضطرابات التي قد تتطلب التمييز بين المسلمين وغيرهم ممن هم تحت الحكم الإسلامي .
وأقدم نص لدينا يذكر فيه لفظ الزنار أو الزنانير .

* ما ورد في كتاب الخراج لأبي يوسف (١١٣ - ت ١٨٢ هـ):

" لا يُترك أحد منهم يتشبه بالمسلمين في لباسه ولا في مركبه ولا في هيئته، وأن يؤخذوا بأن يجعلوا في أوساطهم الزنارات "وقد فسر أبو يوسف المقصود بالزنار بأنه" مثل

مقترح يكون بين المسلمين وأهل الذمة، وهو يكاد يطابق عهد عمر، يقول فيه :
وعليكم أن تلبسوا الزنانير من فوق
جميع الثياب والأردية وغيرها حتى لا
تخفى الزنانير ... "

(الأم، كتاب الجهاد والجزية، باب إذا
أراد الإمام كتاب صلح ج ٥ ص ٤٧٣)
ولم يكن ثمة تشدد في إجراء
هذا الشرط، وكثيراً ما كان يُتغاضى
عنه، وفي عهد عمر بن عبد العزيز
(حكم ٩٩-١٠١ هـ) كتب إلى عامل
له بالأندلس يدع صليبيّاً إلّا كُسر، ولا يركب
يهودي ولا نصراني على سرج ...
إلخ وفسّر كتابه بأنه قد ذكر له أن
كثيراً ممن قبله من النصارى قد
راجعوا لبس العمائم وتركوا المناطق
على أوساطهم ... " .

(الخراج لأبي يوسف ص ١٢٨)

* "وفي سنة ١٩١ هـ أمر
الرشيد (خ ١٧٠ - ١٩٣ هـ) بهدم
الكنائس بالثغور، وكتب إلى السندي بن
شاهك يأمره بأخذ أهل الذمة بمدينة

الخيظ الغليظ يعقده في وسطه كل واحد
منهم" وفسر الغرض من ذلك بقوله:
"حتى يُعرَفَ زِيَّهم من زي المسلمين"
(الخراج، لأبي يوسف ص ١٢٧)

• وكان شد الزنار أو المنطقة
معروفاً بين أقباط مصر قبل
الفتح الإسلامي :

ويذكر عبد الله بن أبي الحكم أن
عمر بن الخطاب (حكم من ١٣-٢٣ هـ)
كتب إلى عمرو بن العاص أن
يُظهر أهل الذمة مناطقهم ويَجُزُّوا
نواصِيَهُم ... وألا يدعُوهم يتشبهون
بالمسلمين في لبوسهم (فتوح مصر
وأخبارها ص ١٥١، ويعرف هذا بعهد
عمر) .

ولهذا العهد العمري - الذي
يتشكك بعض المؤرخين في نسبته إلى
عمر بن الخطاب - صيغ متقاربة
وردت في مختلف المراجع .

(انظر تاريخ دمشق، لابن عساكر ج ١
ص ١٤٩، ١٧٨)

* وفي كتاب الأم للإمام
الشافعي (ت ٢٠٥ هـ) نموذج لعهد

السلام بمخالفة هيئتهم هيئة المسلمين
في لباسهم وركوبهم"
(تاريخ الرسل والملوك للطبري
٨/٣٢٤)

* "وفي سنة ٢٣٥هـ — أمر
المتوكل (خ ٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) بأخذ
النصارى وأهل الذمة كلهم بلبس
الطيالسة العسلية والزنانير، وركوب
السروج بركب الخشب ... "
(تاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٨
ص ٣٢٤)

وفي ترجمة حنين بن إسحق
المترجم والطبيب (ت ٢٦٤ هـ) يقول
ابن أبي أصيبعة : وخدم حنين بالطب
المتوكل، وحظي في أيامه، وكان يلبس
زُنارًا ..

وقد حوكم في عهد المتوكل
لأمور تنال من عقيدته النصرانية ...
وقد أوجب الأساقفة اللعنة عليه، فلعن
سبعين مرة بحضرة الملاء من النصارى
وقُطع زُناره ... "

(عيون الأنبياء ص ٢٦٢ ، ٢٦٤)

ويبدو أن قطع الزنار كان
متعارفًا عليه رمزًا للخروج من
النصرانية، كما كان الحال في ارتدائه
رمزًا للانتساب إليها .

(وانظر في ذلك أيضًا ما ذكره أبو
العلاء المعري)

* وفي أيام الحاكم بأمر الله
(حكم ٣٧٦هـ - ٤١١ هـ) اشتد على
النصارى بعد أن سخط على وزيره
عيسى بن نسطورس النصراني، يقول
المقريزي في أحداث سنة ٣٩٥ هـ —
" .. قرئ سجل في الجوامع يأمر اليهود
والنصارى بشد الزنار - ولُبس الغيار،
وشعارهم السواد شعار الغاصبين
العباسيين ... "

(اتعاظ الحنفا للمقريزي ج ٢
ص ٥٣ والمواعظ والاعتبار للمقريزي
ج ٤ ص ٣٩٩)

وقد تكرر هذا أيام الفاطميين،
فكان لا يسمح لأهل الذمة باستخدام
المسلمين في الأعمال الحقيرة، وفُرض
عليهم الزنار حول أوساطهم، وحمل

الصلبان أو القرامي بزنة خمسة أرطال في أعناقهم .

(هامش (٢) اتعاط الحنفا ج ٢ ص ٥٣)

* "وفي أحداث سنة ٦٨٢هـ —

يقول المقرئزي : وكانت النصارى في

أيام الملك المنصور قلاوون (حكم

٦٨٧ - ٦٨٩ هـ) يركبون الحمير

بزنانير في أوساطهم ... فلما مات

الملك المنصور وتسلطن ابنه الملك

الأشرف خليل (س ٦٨٩ - ٦٩٣ هـ)

خدم الكتاب النصارى عند الأمراء

الخاصكية، وقووا نفوسهم علي

المسلمين، وترفعوا في ملابسهم

وهيئاتهم ... " .

ويمضي المقرئزي في رواية

لأحد الكتاب النصارى في ذلك.

(المواعظ والاعتبار ٤/٤٠٢)

"وفي أحداث سنة ٧٠٠ هـ يقول

المقرئزي .. وقد حضر القضاة الأربعة

وناظروا النصارى واليهود، فأذعنوا

إلى التزام العهد العمري، وألزم بطرك

النصارى طائفة النصارى بلبس العمام

الزرق وشد الزنار في أوساطهم ... "

(المواعظ والاعتبار ٤/٤٠٤)

ويبدو أن الأحداث السابقة بما

صاحبها من نفوذ للكتاب النصارى وما

يتعرض له بعض عامة المسلمين من

أذاهم - تفاقمت في عام ٧٢١ هـ في

عهد الناصر بن قلاوون حيث وقعت

الفتنة الكبرى بين المسلمين والنصارى

والتي كادت نيرانها تعصف بمدينة

مصر والقاهرة كلها .

(انظر المواعظ والاعتبار ج ٤ ص

٤٢٥ - ٤٣٣)

يقول عنها المقرئزي وكانت هذه

الخطوب الجلييلة في مدة يسيرة قلما يقع

مثلها في الأزمان المتطاوله، هلك فيها

من الأنفس وتلف فيها من الأموال،

وخرب من الأماكن ما لا يمكن وصفه

لكثرته، والله عاقبة الأمور .

(المواعظ والاعتبار ج ٤ ص ٤٣٣)

وفي العصر العثماني كان يُطلب

إلى أهل الذمة أن يرتدوا ملابس خاصة

ومنها القلانس والزنانير تميزهم عن

المسلمين، ولم يكن ارتداء هذه الملابس

في حد ذاته مُهينا ولم تكن أجهزة الدولة حريصة على إلزامهم بذلك إلا في أحوال خاصة .

(المجتمع المصري تحت الحكم الإسلامي ميكل ونتر ص ٣١٥)

وثمة أحداث وقعت دفعت بعض الحكام إلى التشدد في ارتداء الزي الخاص بأهل الذمة في السنوات ١٥٨٠م، ١٥٩٦م ، ١٧٢٦م ، ١٧٥٠م ، ١٧٥١م .

ولعل آخر حادثة ذكرت في هذا المقام وقعت عام ١٧٨٦م ١٢٠٠هـ

يقول الجبرتي: .. نودي على طائفة النصارى بألا يركبوا الدواب، ولا يستخدموا المسلمين، ولا يشتروا الجواري والعبيد، ومن كان عنده شيء من ذلك باعه أو أعتقه، وأن يلزموا زيهم الأصلي من شد الزنار والزنوط " (عجائب الآثار ١٧٦/٣)

وعند هذه الحادثة اختفت هذه الكلمة في مراجعنا، ولم أجد لها ذكراً لا في شعر ولا في نثر .

٥- ترجمان

ترجم	* المفسر للسان	* التفسير
* ترجم عن اللسان: فسر كلامه بلسان آخر	* المفسر للسان * الناقل للكلام من لغة إلى أخرى.	* التفسير * النقل من لغة إلى لغة أخرى. * سيرة الشخص وأخلاقه. * عنوان الفصل أو الباب في الكتاب.
* ترجم لفلان: ذكر ترجمته أي عرّف به، وذكر سيرته.	* ج — راجم وترجمة.	* سطور تكتب في أعلي الرسالة يذكر فيها اسم كاتب الرسالة واسم من كتب إليه (دوزي عن المقرئ).
* ترجم اللسان: ترجم عنه * ترجم الكتاب: نقله من لغة إلى أخرى. * ترجم الكتاب: قسمه إلى أبواب وفصول (دوزي). * جعل له عنواناً (دوزي).	* دليل السائح (دوزي).	* لقب يشير إلى صاحب المكان يحدد به علاقته بالكاتب مثل المخلص، الفقير إلى عطفك

ترجمان. وفي الأكدية Targumānu
ترجمان).

الترجمان في الشعر العربي:
في العصر الجاهلي:

وردت كلمة الترجمان في الشعر
العربي مفردة وجمعاً.

تأصيل كلمة ترجمان ت ر ج م

(في العبرية Targém تَرْجِيم :

تَرْجَمَ من لغة إلى أخرى، فَسَّرَ. وفي

الآرامية Targem تَرْجَمَ : تَرْجَمَ ،

فَسَّرَ، وَعَظَّ. ومنه Targmān

تَرْجَمَانُ. وفي الحبشية Targuama

وقال الوأواء الدمشقي (ت ٣٧٥ هـ —
تقريباً):

ما إن تلججَ منطقي عن حُجَّتِي
إلا وذكرَكَ ترجمانُ لساني
(ديوانه ٢٣٨)

وقال أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩ هـ —
هـ):

حبستُ كتابَ العينِ في كلِّ وجهٍ
فخذَ حَذْرًا من ترجمانِ المُفْجَعِ
(اللزوميات ج ٢ ص ١٠٤٣)
وقال ابن حمديس (٥٢٧ هـ — ١١٣ هـ):
مَنْ بَشْرُهُ تَرْجَمَ عن جودِهِ

والجودُ في البشر له ترجمان
(ديوانه ص ٥٠٧)

وقال ابن النبيه يمدح الملك الأشرف
موسى (ت ٦١٩ هـ = ١٢٢٢ م):

لا تَسْلِ العاشقُ عن حالِهِ
فدمعُهُ عن قلبِهِ تَرْجُمَانُ
(ديوانه ص ١٦١)

وقال إسماعيل صبري يهنئ الخديو
عباس الثاني (١٩٢٣ م):

لا تَسألِ المالكَ عن ملكِهِ
فعدلُهُ عن ملكِهِ تَرْجُمَانُ
(ديوانه ص ٦٨)

وأقدم شاعر استعملها هو
الأسود بن يعفر (نحو ٢٢ ق. هـ —
٦٠٠ م)

فقد وردت في شعره جمعاً نادراً
(تراجم):

حتى تناولها صهباءُ صافيةٌ
يرشو التَّجَارَ عليها والتراجيما
(قال العلامة عبد السلام هارون: يريد
التراجمة، لأن باعة الخمر عجم
يحتاجون إلى من يفهم الناس كلامهم)
(المفضليات ص ٤١٨)

وقال عوف بن مُحَلَّم الخزاعي
(عباسي):

إنَّ الثمانينَ وبلغتها
قَدْ أَخَوَجَتْ سَمْعِي إلى تَرْجُمَانِ
(الأمالي، للقالبي ٥٠/١)

وقال المتنبي (ت ٣٥٤ هـ —
٩٦٥ م) يذكر جيش الروم:

تَجَمَّعَ فيه كلُّ لِسَنٍ وأمةٍ
فما تَقْهَمُ الحُدُثَاتُ إلا التراجمُ
(الحُدُثَاتُ: جمع حادث بمعنى متحدث)
(شرح ديوان المتنبي لأبي العلاء
المعري ج ٣/٤٢٧)

وقال علي الجارم (ت ١٩٤٩) :

وما الشعرُ إلا ترجمانٌ مُخَلَّدٌ

يقصُّ على الأجيال مجدًا مخلدًا

(ديوانه ص ٧٨)

الترجمان في التاريخ:

كان للترجمة على الدوام شأن

مهم في العلاقات التجارية والسياسية

بين الدول الإسلامية والشعوب

الأجنبية، وبدأ نشاط هؤلاء الترجمة

يظهر على صفحات التاريخ بشكل

واضح مع الفتوح الإسلامية، وقد قاموا

آنذاك بدور كبير في أثناء المعارك

وفي التباحث والمعاهدات .

وقد كان للعرب قبل الإسلام

علاقات قوية بالفرس والروم، وكان

لسكان الحيرة وغسان وقائع حربية

وتعاقدات سياسية واقتصادية بالدولتين

كان للترجمة دور فيها .

وكان للعباديين وهم قبائل عربية

تصرت دور كبير في البلاط الفارسي،

وكانوا يقومون بالترجمة والكتابة .

وعلى سبيل التمثيل لا الحصر

كان عديُّ بن زيد الشاعر (٣٥ ق هـ

= ٥٩٠ م) يختلف إلى كُتَّاب الفارسية

مع ابن لأحد المرازبة، فتعلم الكتابة

والكلام بالفارسية حتى خرج من أفهم

الناس بها وأفصحهم بالعربية ... وكان

عدي أول من كتب بالعربية في ديوان

كسرى ... بل إن كسرى أرسله إلى

ملك الروم بهدية .. ولما أتاه عدي بها

أكرمه وحمله إلى عماله على البريد

ليريه سعة أرضه وعظيم ملكه ...

(الأغاني، للأصفهاني ١٠٢/٢)

* ولعل من أقدم الأخبار التي

عثرنا عليها عن الترجمة قبل الإسلام

خبر أبرهة حين نزل مكة ليهدم البيت،

يقول الخبرُ : إنه لقي عبد المطلب جدَّ

النبي وسيد قريش، فلما رآه أبرهة

أكرمه، فقال له الترجمان: الملك يقول:

ما حاجتك؟ قال: حاجتي متنا بغير

أصاها. فقال أبرهة للترجمان، قل له

قد كنت أعجبتني حين رأيتك، وقد

زهدت فيك؛ لأنني جئت لهدم بيت هو

دينك ودين آبائك. ! جئت ما تكلمت فيه
وتكلمت في الإبل ... إلى آخر الخبر .
(آثار البلاد وأخبار العباد، للفرزدق
ج ١ ص ٢١)

* وكان زيد بن ثابت يكتب إلى
الملوك مع ما كان يكتبه من الوحي،
وفي صحيح البخاري أن النبي صلي
الله عليه وسلم أمره أن يتعلم كتاب
اليهود، يقول زيد : "كتبت للنبي كتبه،
وأقرأته كتبهم إذا كتبوا إليه".

(كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري،
صحيح البخاري ج ٩ ص ٩٤).

* وقد أرسل (هرقل) إلى أبي سفيان
وبعض تجار قریش بالشام فأتوه وهم
بإلياء، فدعاهم في مجلسه، وحوله
عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا
بترجماته، فقال : أيكم أقرب نسباً بهذا
الرجل الذي يزعم أنه نبي، فقال أبو
سفيان: أنا أقربهم به نسباً ... ثم قال
لترجمان: قل لهم إني سائل عن هذا
الرجل ... "والحديث طويل انظره
(في صحيح البخاري ج ١ ص ٤، ٥،
٦).

ويعقد البخاري باباً بعنوان (باب
ترجمة الحكام، وهل يجوز ترجمان
واحد) وفيه : قال أبو جمرة : "كنت
أترجم بين ابن عباس وبين الناس"
وأنهاه بقوله : وقال بعض الناس لا بد
للحاكم من مترجمين .

(صحيح البخاري ج ٩ ص ٩٤)
وفي عهد عمر بن الخطاب
رضي الله عنه كثرت الفتوح، وتلاقى
العرب بجيوش الفرس والروم، ووقعت
وقائع شارك فيها الترجمة، ومن ذلك:

* دعا رستم بالمغيرة فجاءه
حتى جلس على سريرته، ودعا رستم
ترجمانه - وكان عربياً من أهل الحيرة
يُدعى عبود - فقال له المغيرة : ويحك
يا عبود ! أنت رجل عربي؛ فأبلغه
عني إذا تكلمت كما تُبلغني عنه إذا
كلمني ... "

(تاريخ الرسل والملوك للطبري
٥٢٤/٣)

* وعن حال الأسرى من
الفرس يوم القادسية يقول الطبري :
وجعل أهل فارس يسوؤهم ما يرون من

(مروج الذهب للمسعودي ج ٤ ص ١٨،
(١٩

* ومنه أيضا : أخبرني
شبل الترجمان قال : حين نزل
الرشيد علي هرقة وفتحها، فرأيت
ببابها حجرا منصوبا مكتوبا عليه
باليونانية، فجعلت أترجمه والرشيد
ينظر ..

(مروج الذهب، للمسعودي ج ٢ ص ٥٨)
وكان للتراجمة دور كبير في
الرحلات التي قام بها المسلمون في
العصر العباسي، ومن أشهر هذه
الرحلات رحلة ابن فضلان (ت ٣١٢
هـ = ٩٢٤) التي قام بها إلى بلاد
الترك والخزر والروس والصقالية عام
٣٠٩ هـ ٩٢١ م، وكان يصطحب معه
في كل بلد يزوره مترجما أو يجد عند
ملوكها من يترجم له .

* وقال هذا الرجل يوما علي
لسان الترجمان: قل لهذا العربي ألبنا
عز وجل امرأة؟
" فقلت للترجمان : سل بعضهم
ما حجتهم في هذا "

حالهم وحال خيلهم، فلما دخلوا (وفد
العرب) علي يزدجرد أمرهم بالجلوس،
وكان سيئ الأدب، فكان أول شيء دار
بينه وبينهم أن أمر الترجمان بينه
وبينهم فقال : سلهم ما يسمون هذا
الأردية؟ .. (تاريخ الرسل والملوك
٤٩٨/٣ أحداث سنة ١٤ هـ)

وأرسل عمر بن الخطاب
النعمان بن مقرن لفتح أصفهان،
وأرسل النعمان المغيرة بن شعبة إلى
ملكهم، وهو يقال له: ذو الجناحين ...
وقام بين يديه وجعل يكلمه والترجمان
يترجم بينهما ..

(مروج الذهب للمسعودي ج ٣ ص
٦٧)

* ومن هذا القبيل أن عمر بن
عبد العزيز (حكم ٩٩ - ١٠١ هـ) بعث
وفدا إلى ملك الروم في أمر من
مصالح المسلمين ... فلما دخلوا عليه،
إذا ترجمان يفسر عليه، وهو جالس
علي سرير ملكه، والتاج على رأسه،
والبطارقة عن يمينه وشماله والناس
علي مراتبهم بين يديه .

" وقد حدثني ترجمان الملك أن
سندياً سقط إلى هذا البلد "

(رحلة ابن فضلان ص ٣٩ ، ٧٠)

ويحكي الشريف الإدريسي عن
رحلة سلام الترجمان إلى أرض خفتاخ
وأرض التركش وسد يأجوج ومأجوج
مبعوثاً من الخليفة الواثق (حكم ٢٢٧-
٢٣٢ هـ) ليعرف أخبار السد الذي بناه
ذو القرنين .

(نزهة المشتاق في اختراق الآفاق
للشريف الإدريسي ج ٢ ص ٩٣٥-
٩٣٦)

ولعل أهم الأدوار التي أداها
الترجمة دورهم العظيم في نقل علوم
الفرس والهند واليونان إلى العربية .
ومن أهم هؤلاء الترجمة عبد
الله بن المقفع (ت ١٤٩ هـ)

يقول ابن أبي أصيبعة عن
(برزويه) إنه هو الذي جلب كتاب كلية
ودمنة من الهند إلى أنوشروان بن قباد
بن فيروز ملك الفرس، وترجمه له من
اللغة الهندية إلى الفارسية، ثم ترجمه
في الإسلام عبد الله بن المقفع الخطيب
من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية .

وكان ابن المقفع ترجم أيضاً من
كتب أرسطو طاليس كتاب
قاطيغوريوس، وكتاب باريميناس،
وكتاب أنا لوطيقا، وترجم مع ذلك
المدخل إلى كتب المنطق المعروف
بإيساغوجي .. وعبارته في الترجمة
سهلة، قريبة المأخذ .
(عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة، ص
٤١٣)

ومن أقدم الترجمة وأهمهم
حنين بن إسحق (ت ٢٦٤ هـ) .

وقد ترجم حنين لجبرائيل بن
بختيشوع أقساماً من كتب جالينوس
وهو أول من نقل شيئاً من علوم الروم
إلى اللسان السرياني، وقد كان حنين
يجيد السريانية واليونانية، وكان مبرزاً
في العربية .

ومن فضول القول أن نعرض
هنا لأسماء هؤلاء الترجمة وما
ترجموه فهذا يخرج عن هدفنا، ونشير
فحسب إلى أن كلمة الترجمة كان يراد
منها النقل، وابن النديم يعقد باباً واسعاً
لأسماء النقلة من اللغات إلى اللسان

كان الترجمة أو المترجمون في المواني المصرية في عصر سلاطين المماليك حلقة هامة بين الفندق الذي ينزل فيه التجار الأوربيون وقنصلهم من جانب، والجهات المصرية المسؤولة من جانب آخر. وكان المترجم معتمداً من دواوين سلطنة المماليك وموضع ثقة بين الأطراف المتعاملة معه .

وتلقي وثيقتان تجاريتان من مدينة البندقية ترجعان إلى سنة ٨٢٦ هـ ١٤٢٣ م وسنة ٨٩٥ هـ ١٤٩٠ م أضواءً كاشفة على أهمية الترجمة في العلاقات التجارية بين مصر والمدن التجارية الإيطالية وكان تغري بردي كبير الترجمة عند السلطان قانصوه الغوري ... وكان يتولى ترجمة الرسائل الواردة إلى السلطان بلسان فرنجي إلى العربية .

وكان سلاطين المماليك الجراكسة يتخاطبون بينهم باللغات التركية والشواهد كثيرة على ذلك (انظر بدائع الزهور لابن إياس ج ٢ ص ٣٨٧ ، ٣٦٨) .

العربي، وكان بعض المترجمين يلقب بالترجمان أو الناقل، ومن ذلك قال فثيون الناقل، ويوسف الناقل، وخالد الترجمان .

(الفهرست للنديم ص ١٨٣ ، ٣٨١)

وتحدث دائرة المعارف الإسلامية عن العلاقات التجارية بين المدن أو الدول المسيحية والحكام المسلمين لدول البحر المتوسط .

وكانت الصفقات التجارية جميعاً لا تكاد تتم إلا بوساطة هؤلاء الترجمة الذين كانوا يؤلفون غالباً نوعاً من النظام الطبقي، وكانت أقوالهم حجة في كل مكان، وكانت تُجبي مكوس خاصة على البضائع التي يتم تبادلها عن طريقهم، وكانت السلطة المحلية تنتخب هؤلاء الترجمة في بادئ الأمر. وهم إما مسلمون أو نصارى أو يهود، وكان يوكل أمر كل تجارة أجنبية إلى واحد منهم في بعض الجهات "

(دائرة المعارف الإسلامية [ترجمان])

وكتب إليّ المؤرخ الدكتور حسنين ربيع :

ويتحدث ابن إياس عام ٩٢٤ هـ عن أحد أمراء بني عثمان كان يجلس بالصالحية وحوله جماعة من الإنكشارية، وكان لا يُقضى أمرٌ من الأحكام الشرعية حتى يُعرض عليه، فكان يقف بين يديه الشاكي والمشتكي ويخاطبونه بترجمان بينهما عن أمر الشكاة . " (بدائع الزهور ، ج ٥ ص ٢٤٤) .

ويقول عن عام ٩٢٢ هـ: وفي ذلك اليوم خطب باسم السلطان سليم شاه علي منابر مصر والقاهرة، وقد ترجم له بعض الخطباء (بدائع الزهور، ج ٥ ص ١٤٨) .

وفي عام ٩٢٦ هـ يقول ابن إياس: ... رسم ملك الأمراء بأن مشاعلياً ينادي في القاهرة بالعربي وآخر ينادي بالتركي بالأمان والاطمئنان والبيع والشري . " (بدائع الزهور، ج ٥ ص ٣٦٩) .

وعند نزول الفرنساوية إلى مصر أصبح للترجمة دور كبير في الاتصالات التي كانت تقع بين المصريين والفرنسيين .

* وكان مع الحملة عدد كبير من الترجمة الفرنسيين يقول الجبرتي : وكان منتور هذا ترجمان ساري عسكر، وكان لبيباً مستبحراً، ويعرف اللغات التركية والعربية والرومية والطلاني والفرنساوي "

(عجائب الآثار ١١٥/٥)

وفي أثناء محاكمة سليمان الحلبي كان ترجمان ساري عسكر العام يقوم بترجمة المحاكمة وإجراء المساءلة .

يقول الجبرتي وقد وقّع الترجمان "لوماكا" علي محضر التحقيق (عجائب الآثار، ٢٠٠/٥ ، ٢٢٠) .

* وكان يحضر الديوان وكلاء ومباشرون من الفرنسيين ومترجمون ١٢٣، ١٠٠/٥ .

وكان الترجمة الفرنسيون يصحبون بونايرتة وغيره من قواده الكبار (عجائب الآثار، ١٥٩/٥) .

* وكان من بين الترجمة ترجمة من الشوام والمغاربة (عجائب الآثار، ١٤/٥) .

محمد حسن عبد العزيز

عضو المجمع